

تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها

بقلم

حسن عبد الوهاب

كبير مفتشى الآثار الإسلامية

١٩٥٧

مطابع دار النشر للجامعات المصرية

علاء الدين الشاذلي وشركاه (شركة توصية بالاسم)

٤١ شارع مريدوت - بالقاهرة

اهداءات ٢٠٠٠

المرحوم اد. فريد الشافعي
استاذ العمارة الإسلامية - القاهرة

تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها

بقلم

حسن عبد الوهاب

كبير مفتشى الآثار الإسلامية



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque Alexandrine

١٩٥٧

مطابع دار النشر للجامعات المصرية

علاء الدين الشاذلي وشركاه (شركة تأسست بالأمم)

١ : شارع شرموت - بالقاهرة

9

سورة التوبة

تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها*

بقلم

مصطفى عبد الوهاب

كبير مفتشى الآثار الإسلامية

عنيت الشعوب الإسلامية بتخطيط المدن التي أنشأتها عقب الفتوحات الإسلامية ، وراعوا في تخطيطها القواعد الصحية من شق شوارع ، وعمل ميادين ورحاب ، وتقسيمها إلى شوارع وسكك وحارات وأزقة .

وقد تضمنت قوانين تخطيط المدن الخروج بالمدافن والمصانع المقلقة إلى أطراف المدينة ، كالحدادة ، ومصانع الزجاج ، وقوانين الجير والطوب ، والبعد بالأسواق عن مقر الحكم .

وكذلك خصصت لكل صناعة سوقاً خاصة بها ، كما خصت التجارات بأسواق لاحقت بعضها عرفت بها الأخطاط الواقعة فيها .

وعندما كانت تنشأ مدن جديدة ، امتداداً لمدن أخرى سبقتها ، كانت تخصص المدينة الجديدة أولاً لسكنى الوالى ، أو الخليفة وحاشيته ، والمقربين منه ، وهذا ما فعله القائد جوهر حينا أنشأ مدينة القاهرة سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م امتداداً للفسطاط والعسكر والقطائع . فانه أعدها لتكون دار خلافة ينزلها الخليفة وعساكره وخواصه ، وهكذا كانت الحالة في أطراف المدينة حينما كان يسكنها الخلفاء أو الملوك ، فانها تكون سبباً في عمران ماحولها .

(*) محاضرة أقيمت بالجمعية العلمية المصرية في جلسة ٤ إبريل سنة ١٩٥٥ .

شرع جوهر في بناء سور حول المدينة ، وأذن للقبائل بأن تحتط كل قبيلة خطة عرفت بها ، ثم أنشأ جامع القاهرة (الأزهر) ، والقصر الشرقي الكبير ، واحتفر الخندق في الجهة الشمالية ، وقد لوحظ أن الحارات التي اختطتها القبائل كانت قريبة من الأسوار والحارات كحارات : الروم ، وزويلة ، والبرقية .

ومن دراسة القاهرة على ضوء ما كتب عنها ، تبين أنها خططت وقسمت إلى ميادين ورحاب أمام القصور وفيما بينهما ، وأمام مبانيها الرئيسية ومساجدها .

وكان أمام القصر الكبير وفيما بين القصرين الكبير والصغير في الدولة الفاطمية ، ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات استعراض الجيش ، حيث كان يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل . وعلى الجانب الغربي لهذا الميدان ، أقيم القصر الصغير الغربي . وعلى جزء من أرضه الآن منشآت المنصور قلاوون . فعرف هذا الميدان ثم الشارع فيما بعد (بين القصرين) . وكان يوجد بجوار القصر الغربي ميدان آخر ، موضعه المنطقة المعروفة بالخرنفس ، وبجواره البستان الكافوري المطل على الخليج .

وباستقصاء مواقع ملحقات القصرين القاطمين ، عرفنا أنه كان يتوصل إليها من شوارع متسعة ، وحولها الميادين والرحاب ، وهذا ما نراه بصورة مقربة على الخريطة التي وضعها مسيو رافيس استناداً إلى المراجع التاريخية ، وأخالفه في وضعه باب الفرج على الخليج ، فقد كان في شارع تحت الربع .

وقد وصف القاهرة الطبيب أبو الحسن علي بن رضوان « بأن ارتفاع الأبنية^(١) فيها دون أبنية الفسطاط ، وأن أزقتها وشوارعها أنظف منها ، وإذا تأملنا حال القاهرة كانت بالإضافة إلى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالاً » .

وقال ناصر خسرو الرحالة الفارسي وقد زارها سنة ٤٤١ هـ — ١٠٤٩ م يصف تخطيطها : « ويقع قصر السلطان في وسط القاهرة ، وهو طلق من جميع الجهات ، ولا يتصل به أي بناء ، وكل ما حوله فضاء ويبدو هذا القصر

(١) ٣٦٥ - ٦٦ ج ١ مقرئ (المواعظ والاعتبار) .

من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة » (١).

واستطرد في الوصف إلى أن قال : « وليس للمدينة قلعة ، ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعاً من القلعة . وكل قصر حصين . ومعظم العمارات يتألف من خمس أو ست طبقات » .

غير أن المعز لدين الله حينما قدم إلى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ — ٩٧٣ م لم يرق في نظره موقعها لأنها بغير ساحل ، ووجه اللوم إلى جوهر وقال له : « فاتك بناء القاهرة على النيل عند المقس (ميدان المحطة) ، فهلا كنت بنيتها على الجرف (منطقة الرصد) (٢) » وله كل الحق في نقده ، فان منطقة الرصد التي أشار إليها منطقة جميلة تشرف على النيل والجبل وبركة الحبش ، وجمعت بين السهل والجبل ، وبين الخضرة والماء ، وقد وصفها الشاعر الأشبيلي أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز بقوله :

يا نزهة الرصد المصرى قد جمعت من كل شيء حلا في جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل والضرب والنون والملاح والحادى

وخير وصف لها ، ذلك الذى وصفها به أمير مصر موسى بن عيسى ، إذ خرج يوماً إليها فقال لمن حوله :

« أتأملون الذى (٣) أرى ؟ قالوا وما الذى يرى الأمير ؟ قال : أرى ميدان رهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل ، وجبانة أموات ، ونهراً عجاجاً ، وأرض زرع ، ومراعى ماشية ، ومرتع خيل ، وساحل بحر ، وصائد نهر ، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل ، ومفازة رمل ، وسهلا وجبلا ، فهذه ثمانية عشر منزهاً في أقل من ميل في ميل » .

(١) سفرنامه ص ٤٨ تعريب الدكتور الخشاب .

(٢) ص ١٢٨ ج ١ المواعظ والاعتبار للمقرئى ، ٣٧١ ج ٣ صبح الأعشى ، انماظ الحنفا ص ٧٤ ، وهذا المرتفع الصخرى على يسار الذهاب إلى المعادى ، تجاه منطقة أثر النبى .

(٣) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٥٣ .

وإذا كان فات جوهر ما أشار به المعز لدين الله واختار موقع القاهرة بنظرته العسكرية ، فإن الخلفاء الفاطميين لم تفقههم مواطن الجمال في أطراف القاهرة والفسطاط والجزيرة ، فانتفعوا بها وبشاطيء النيل ، وحافتي الخليج ، وشبرا ، حيث كانت الخضرة والماء ، فأنشأوا المناظر والحدائق ، وكانوا يقضون فيها أوقاتاً سعيدة . وكان لانتفاعهم بتلك المناطق أثر كبير في تعميرها بخاصتهم والمقربين منهم ، فامتد العمران إلى خارج أسوار القاهرة .

وفي سنة ٤٨٠هـ - ١٠٨٧م وسع القاهرة الوزير بدر الجمالي من حديها الشمالى والجنوبى ، وأجاز السكنى فيها ، فامتد عمرانها إلى أطرافها وخارج أسوارها ، فصار يقال لأبنية مدينة القاهرة داخل السور. ولما خرج عن أسوارها ظاهر القاهرة ، وأنشئت فيها أخطاط جديدة بعد أن كانت فضاء تشغله البساتين ، هذا عدا حدها الشرقى فيما بين السور والجبل ، فإن الحاكم بأمر الله أمر أن تلقى أتربة القاهرة خلف السور لمنع السيول من دخول القاهرة ، فصار منها تلك الكيمان التى تعرف بكيمان البرقية بنهاية شارع الدراسة ، وهى الجارى رفعها الآن بهمة مشكورة .

وفى دولة السلطان صلاح الدين ، ثم فى دولة المماليك ، امتد العمران ، وخاصة فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ، حيث زادت القاهرة بمقدار النصف ، وصارت القاهرة والفسطاط مدينة واحدة تمتد من العباسية إلى بركة الحبش (أثر النبي) ومن النيل إلى المقطم (١) .

وكان لتحولات النيل فضل كبير فى توسيع رقعة مصر والقاهرة .

ويصفها ابن فضل الله العمرى المؤرخ الجغرافى فى القرن الرابع عشر الميلادى بقوله :

« ولم تزل القاهرة فى كل وقت تتزايد عمارتها ، وتتجدد معالمها ، خصوصاً بعد خراب الفسطاط (٢) سنة ٥٦٤ هـ - ١١٦٨م وانتقال أهلها إليها حتى صارت

(١) المقرئى المواعظ الاعتبار ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٧٠ .

على ماهى عليه فى زماننا من القصور العلية ، والدور الضخمة ، والمنازل
الرحبية ، والأسواق الممتدة ، والمناظر النزهة ، والجوامع البهجة ، والمدارس
الرائعة ، والخوانق الفاخرة ، مما لم يسمع بمثله فى قطر من الأقطار ، ولا عهد
نظيره فى مصر من الأمصار .

هذه لحة عن نشأة القاهرة ، وتطورها الذى سائر الزمن فامتدت شمالاً وجنوباً
وغرباً ، وهامى ستمتد شرقاً بفضل إزالة كيانها ، تلك النقطة السوداء وسط
صحيفتها البيضاء . وإنشاء مدينة المقطم ، ومدينة النصر بالعباسية الشرقية .

هذه المدينة الزاهرة كانت موضع رعاية الحكومات المتعاقبة عليها ،
والإشراف على جميع مرافقها حتى نمت وتدرجت مع الزمن ، كما توضيحها
المصورات الجغرافية .

تنظيم القاهرة

لم يكن تخطيط المدن جزافاً ولا ارتجالاً ، فقد وضعت القوانين للتخطيط
منذ الفتح الإسلامى ، وعنيت الشريعة الإسلامية بتنظيم تخطيط المدن ، فى سنن
أبى داود : أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بأن ينادى فى معسكره ، بأن
من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له ، وذلك حينما لاحظ تضيق صفوف
الأخبية فى ميادين القتال (١) .

وقال شارح السنن : إنه لا يجوز تضيق الطريق التى يمر فيها الناس ونفى جهاد
من فعل ذلك على طريقة المبالغة فى الزجر والتنفير .

وقد وضع عمر بن الخطاب دستوراً لإنشاء المدن ، أذاعه على فاتحى الأمصار
ومنشئها فى صدر الإسلام ، فجعل محور المدينة المسجد بحيث تتفرع الشوارع
حوله ، وأن تكون المناهج أربعين ذراعاً . وما يليها ثلاثين ، وما بين ذلك
عشرين ، والأزقة سبعة أذرع والقطائع ستين (٢) .

وكذلك تناول المشرع الإسلامى قوانين سعة الشوارع والطرق ، وتناولها في أحكامه . واتفقوا على أن الطريق النافذ مباح المرور فيه لكل إنسان لأنه حق للمسلمين ، فليس لأحد أن يبنى فيه أو يخالف خط جاره (خط التنظيم فلا)^١ يبرز عنه ، كما وضعوا قوانين لإقامة الأسبطة (٢) ، واشترطوا أن تكون مرتفعة بحيث يمر الحمل ، أو الفارس على جواد ورجله قائم ، وحرّموا بناء المساطب وغرس الأشجار أمام الدور ، ما دام يترتب على غرسها تضيق الطريق) .

ووضعوا في حكم المنافع العامة الشوارع الخاصة التي أبيع استعمالها ، ومثلها الشوارع التي اصطلاح الملاك على تركها من أملاكهم ، والطرق التي تشقها الدولة ، فلا يجوز شغلها ، ولا تضيقها صوناً لنقوش الجدران في وجهات المساجد والدور ، وتيسيراً للمرور ، ولتوفر الهواء والنور ، شددوا على سعة الشوارع . وقد تركوا الحرية لمن ينشئ شارعاً خاصاً ، ولكنهم فضّلوا أن يكون متسعاً على أن لا يقل عن سبعة أذرع .

وفي مشروعات نزع الملكية ، لتوسيع الشوارع والحارات ، ولتوسيع المساجد ، اتبعت طريقة المساومة مع المالك ، فإذا لم يتم الاتفاق يودع الثمن المقدّر في بيت المال ، ويستولى على العقار (٣) وهو ما تتبعه الآن .

على ضوء هذه القوانين ، وما استجد بعدها تبعاً لتدرج العمران ، وضعت القوانين الخاصة بتنظيم الطرق ، وإزالة ما يعترضها ، وحددت سلطة المحتسب الذي يقوم بتنفيذها .

والحسبة قانون مدنى ، فيدخل في اختصاص المحتسب وأعوانه حمل الناس على المصالح العامة في المدينة ، وقد جمع اختصاصه بين الشرطة والصحة والبلدية ، فيدخل فيه إصلاح الشوارع ، والإشراف على نظافتها وإضاءتها وتوسيعها ،

(١) الفوائد الباهرة في حكم شوارع القاهرة (خط) .
(٢) الساباط : ممر بين منزلين من أعلى . (الوسيلة) : سقيفة بين منزلين ، بينهما مسطحة
(٣) ٦ : فتوح البلدان طبع أوروبا .

والتشديد على أن يكون البناء على خط التنظيم ، فلا يخرج في الشارع عن سمت جارة . ويمنع الجلوس على الأفاريز والخروج بالميازيب أعلى الجدران والبروز بسقائف أو مساطب أمام الحوانيت والحكم^(١) على الملاك بإزالة المباني المتداعية وهدم ما يتوقع منه ضرر على السابلة^(٢) ، وقفل الطريق عند إزالة الحلل صوناً للأرواح^(٣) ، وهذا ما حصل عندما هدمت منارة جامع المؤيد سنة ٨٢١ هـ ١٤١٨ م فان باب زويلة أغلق ثلاثين يوماً .

ومن سلطة المحتسب ، أن لا يرخص باقامة مصانع للصناعات الثقيلة أو مدايع أو مصانع زجاج أو قايين طوب أو جير إلا خارج المدينة .

وقد بلغ من التشديد في تنفيذ تلك القوانين ، النص على إزالة المباني المعترضة للطريق ، أو التي تقفله وهدمها ، ولو كان المبنى مسجداً^(٤) .

ومن اختصاص المحتسب منع شغل الطريق بتشوين المون^(٥) وأدوات البناء ، إلا لفترات قصيرة مدة نقلها ، وله حرية إباحة الخروج بالمشريات ، وإقامة الأسبطة وميازيب المياه وآبار الحجارى طبقاً لسعة الشوارع .

سابعاً
سابعاً

وفي مستهل القرن الرابع عشر الميلادي ، كان من واجبات والى القاهرة ، القيام بتحسين المدينة وتزينها ، فيأمر بعمارة ما في الدور من خلل ، وتعمير ما فيها من خراب ، والاهتمام بتوسعة رحابها ، وتعلية ساباطاتها وسقائف أسواقها ، ولا يمكن أحداً من تضيق الطريق أو إحداث ما يضر بالمارة . وأن ينظر في تنظيف الطرق والرحاب من الأوساخ إن كانت من بيت المال ، وإلا فيأمر السكان بنظافة ماحولهم^(٦) . وكذلك الخروج بالصناعات المقلقة ، وقايين حريق الجير ، والمدابع ومسابك الزجاج إلى خارج المدينة .

(١) ابن الأخوة (معالم القرية) ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) خطط الشام ج ٥ ص ١٣٦ .

(٣) ١٢٥ ج ٥ على باشا مبارك (الخطط الجديدة) .

(٤) نهاية الأرب ج ٦ ص ٣١٤ .

(٥) نهاية الأرب ج ٦ ص ٣١٤ .

(٦) آثار الأول في ترتيب الدول ص ١٦٥ .

وكذلك وجدت وقفيات يصرف منها على تعديل الطرق ورصفها^(١)
ذكرها ابن بطوطة عند ذكر الأوقاف بدمشق بقوله :

« ومنها الأوقاف على تعديل الطرق ورصفها ، لأن أزقة دمشق لكل واحد ،
منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك .

النظافة

ويدخل في اختصاص المحتسب منذ إنشاء القاهرة ، الإشراف على النظافة
ومنع إلقاء القمامة في الشوارع ، وعدم الإفراط في رش الماء مما يتسبب منه الزلج .
كما يلزم الملاك بآزالة الأوحال من امام دورهم ومحالهم . ويمنع هز المون وسط
الطريق أو ترك مخلفات العمارة ، ويشدد على أصحاب الأسواق بكنسها ورشها^(٢)
ومداومة نظافتها ، ومنع طرح القمامة بجوار الطرق .

أما المساجد فقد رصد في وقفيتها مبالغ تصرف لمن يقوم بالنظافة والرش
أمامها وحولها . وهذا ما تضمنته وقفية الغورى^(٣) فقد رصد فيها مرتب
للكناس والرشاش للطرقات تجاه بابى المدرسة ، وحول القبة والخانقاه .

كذلك يحتم على ناقلى السباد إحكام تغطيته عند نقله ، حتى تنقطع رائحته
فلا يتأذى الناس منها ، ويأمر بمنع ربط الدواب في الطريق حتى لاتعوق السير .

وإلى سنة ١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م كان والى القاهرة وأعوانه من الشرطة يعمرون
في الشوارع والأسواق ملازمين السكان والتجار بنظافتها ورشها^(٤) .

ظل المحتسب يشرف على تنفيذ أوامر النظافة إلى أن أنشئت أقسام البوليس
في أوائل القرن التاسع عشر ، وأذيع على أقسام البوليس ورؤسائها ومشايخ
الأقسام التعليمات الواجب عليهم اتباعها والمنشورة في الوقائع المصرية الصادرة
في ١٧ صفر سنة ١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م وقد جاء فيها :

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٦٠ .

(٢) معالم القرية ص ٧٩ .

(٣) الخطط الجديدة ج ٥ ص ٦٣ .

(٤) الجبرق ج ٤ ص ٢٠٤ .

« ينبغي عند صبيحة كل يوم أن يقوم أهل الأسواق بكنس ورش المنطقة أمام دكاكينهم وأن سكان المنازل يكنسون ويرشون أمام بيوتهم ، فإذا ضبط مندوب أميرالاي المحروسة أناساً يلقون القاذورات ، يضربهم ضرباً خفيفاً ، ويحذرهم من العودة إلى ذلك ، وعلى أقسام البوليس تأديب من يتأخر عن النظافة أمام بيته أو دكانه ؛ ويجب المناداة بذلك والتنبية على مشايخ الحارات بمراقبة التنفيذ .

أما المنشآت الحكومية ، فينبه على نظارها بالإشراف على نظافة ماحولها . وما يكون حول القلعة يكلف بنظافته سقياً باشى القلعة .

ويقوم بنظافة المحلات الخربة سقياً الحارة ، وأجرته على الموسرين من السكان . وفي سنة ١٨٣١ م عينت الحكومة الموظفين لمراقبة النظافة ومراقبة تنفيذ^(١) تلك التعليمات ، كذلك حددت أماكن لإلقاء الأتربة (المقالب) ، فلا يلتقى فيها إلا باذن . كما حددت أماكن لإيداع القمامة تودع فيها إلى أن تنقل وتلقى في البحر ، وهذا ماحدده الأمر الصادر من مجلس الملكية في ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٩ هـ - ١٨٣٣ م وقد أذن بخروج الأتربة المخلفة من عمارات قصور قنطرة الدكة ، والأزبكية من أبواب القاهرة ، المعتاد إخراج الزباله وفضلات القاهرة منها ، إلى خارج المدينة .

وأن يأمر كذلك ناظر الترسانة باتمام إنشاء القوارب اللازمة لنقلها إلى خارج المدينة ، والتي تجمع بشونة المسكنة بساحل البحر إلى البحر الأبيض المتوسط مراعاة للصحة العامة^(٢) .

مكافحة التسول

لم يكن الاهتمام بالقاهرة قاصراً على نظافتها من القاذورات ، بل شمل نظافتها من المناظر المنفرة ، فقد كوفح أصحاب العاهات ومفتعلوها ، ذلك أنه في سنة ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م ، أمر السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى بجمع أصحاب العاهات ،

(١) تاريخ الإدارة الصحية ص ٣٦ .

(٢) وثيقة رقم ١٨ دفتر ٧٩٦ ديوان خديوى .

فجمعوهم بخان السبيل بالحسينية (١) ، ثم نقلوهم إلى القيوم ، وأفردت لهم بلدة تغل للصرف عليهم بما يكفيهم ، وأراحوا الناس من مضايقاتهم ، غير أنهم لم يستقروا بها وتفرقوا ، ورجع كثير منهم إلى القاهرة .

والعناية بالفقراء ووقايتهم شر السؤال موجودة في جميع أدوار التاريخ منذ فجر الإسلام ، ومنذ الدولة الفاطمية انشئت الربط لإيواء الفقراء من الرجال والنساء ، وما خصص منها للنساء كان بمثابة دور كفالة للمرأة ، وكان للنساء فضل إنشاء الكثير منها في دولتي المماليك ، إلى القرن الثامن عشر ، وكانت تلك الربط تؤوى النساء الفقيرات والعجائز والأرامل والبنات حتى يتزوجن ، والمطلقات حتى يعدن إلى أزواجهن أو يتزوجن .

وكان يختار لرأسه تلك الربط ، سيدات اشتهرن بالعلم والحزم لتعليم المقيمت بها وصيانتهم ، وإلى الآن ما زالت بقايا تلك الربط موجودة « كرباط خوند زينب بالخرنفش » .

وكثيراً ما كانت الحكومات تجمع المتسولين إذا لاحظت عليهم تمرداً دعاها ذلك إلى مكافحتهم بشتى الوسائل ، ذلك أنه في سنة ٧٧١ هـ — ١٣٦٩ م أمر السلطان شعبان بجمع المتسولين وتوزيعهم على الأمراء والتجار لإعالتهم ، كل حسب مقدرته وثرائه ، ونودى في القاهرة بعد ذلك أن لا يتصدق أحد على متسول (٢) .

وفي سنة ١١٠٦ هـ — ١٦٩٤ م وقع غلاء بمصر ، فعزت الأقوات على الفقراء فاهتم بهم اسماعيل باشا والى مصر ، فجمع الفقراء والمتسولين ووزعهم على الأمراء والتجار للإنفاق عليهم ، وخص نفسه بجانب منهم ، إلى أن انقضى الغلاء (٣) .

وفي ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٢١٥ هـ — ١٨٠٠ م صدرت الأوامر بجمع المتسولين وخصصوا أماكن لإقامتهم ، وعهدوا إلى نظار الأوقاف بالصرف عليهم (٤) .

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ قسم ٢ ، ص ٥٥٣ والتحفة الملوكية ص ١٩ .

(٢) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للمبني ج ٢٤ قسم ٢ ص ١٨٣ .

(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٦٥ .

(٤) عجائب الآثار للجبرتي ج ٣ ص ١٣٨ .

وفي أوائل القرن التاسع عشر جمع الغلمان المشردون وألحقوا بالمصانع المنشأة وقتئذ .

مكافحة المناظر المحزنة والدجالين

وكذلك وجهت العناية إلى مكافحة المناظر المحزنة والدجالين التي تخالف تعاليم الدين فكان المحتسب منذ الدولة الفاطمية يمنع النساء من الخروج خلف الجنائز كاشفات وجوههن ورؤسهن ، ويعاقب الناثحات إلى حد النفي (١).

وفي سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م منع المحتسب النساء من النياحة على الأموات (٢). وفي شوال سنة ٩١٠ هـ - ١٥٠٤ م أمر السلطان الغوري بأن ينادى في القاهرة بأن لا يعمل عزاء بطارات ، ولا نائحة تنوح على ميت . ثم أوعز إليه على نائحة عملت عزاء بطارات ، فقبضوا عليها ، ولطخوا وجهها بالسواد وعلقوا طاراً في عنقها وأركبوها حماراً ، وشنعوا عليها في أنحاء القاهرة . وكان هذا سبباً في إقلاع النساء عن تلك العادات (٣).

وكذلك كافحوا الدجالين الذين ينصبون على النساء ويغررون بهن . فقد صدرت أوامر الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٣ هـ - ١٣٢٣ م بالقبض على المنجمين وتسليمهم إلى والى القاهرة ، فضربوا وحبسوا ، ومات منهم تحت العقوبة أربعة (٤).

ومن ذلك ما فعله الأمير عبد الرحمن كتنخدا سنة ١١٧٣ هـ من ذبحه للعنزة التي كان يدجل بها الشيخ عبد اللطيف خادم السيدة نفيسة ، وتوبيخه والتشهير به بوضع جلدها على عمامته وطوافه بالقاهرة وسط الطبول والأشاور (٥).

(١) معالم القرية في أحكام الحسبة ص ٥١ .

(٢) زهرة النفوس والأبدان ص ١٠٣ (خط) .

(٣) ابن اياس ج ٤ ص ٧٦ .

(٤) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦١ .

(٥) عجائب الآثار ج ١ ص ٣٦٢ .

تمهيد الطرق

لم تقف العناية عند تنظيم الطرق وتوسعتها ونظافتها ، بل شملت تمهيدها وتعبيدها حتى يمكن السير والجر عليها ، فقد كان عمر بن الخطاب يعهد إلى أهل الذمة باصلاح الجسور والطرق^(١) كما ثبت أن عبد العزيز بن مروان في ولايته على الفسطاط سنة ٦٥ هـ - ٦١٤ م اهتم بتعبيد الطرق ، وأعد لها الأدوات اللازمة ، ليتمكن السير والجر عليها^(٢) وكذلك تضمنت التعليمات التي كانت تصدر إلى والى الفسطاط عند تعيينه^(٣) ، التشديد على نظافة المسالك والساحات ، ومنع توعير السبل ، والطرق ، وكانت الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم مصر تقوم بين آونة وأخرى ، بتمهيد الطرق وقطع ما ارتفع منها^(٤) باعتبار ذلك من الأعمال الرئيسية للدولة .

وقد بلغ من الاهتمام بتنظيم الطرق وإعدادها وتنسيقها ، احتساب الاهتمام بها من حسنات الملك أو الوالى المهتم بها . كما ورد في ترجى الأمير منجك^(٥) اليوسنى والملك^(٦) الأشرف أينال ؛ فقد عد من حسناته أنه وسع شارع بين القصرين .

وفي القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، اشترك والى الشرطة مع المحتسب فى تنفيذ تلك الأوامر ، فكان يلزم سكان الدور والخوانيت بتمهيد الطريق أمامهم^(٧) .

وممن لهم أثر مشكور فى العناية بالطرق ، الأمير يشبك من مهدي دوا دار الملك الأشرف قايتباى ، فانه فى سنة ٨٨٢ هـ - ١٤٧٨ م شرع فى توسعة الطرق

(١) التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٨٣ .

(٢) التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٨٤ .

(٣) صبح الأعشى ج ١ ص ٣٣٦ .

(٤) المقرئى ج ٢ ص ١٠٧ (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) .

(٥) المنهل الصافى لابن تغرى بردى ج ٣ قسم ٣ ص ٣٦٧ .

(٦) الضوء اللامع للسخاوى ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٧) التبر المسبوك فى ذيل السلوك للسخاوى ص ٣٦ .

والشوارع والأزقة ، وخاصة الشارع الرئيسى للقاهرة من باب الفتوح إلى باب زويلة ، وتبييض الدكاكين ووجهات الربوع ، وعهد إلى القاضى فتح الله السوهاجى أحد نواب الشافعية ، بأن يحكم بهدم ماوضع فى الشوارع والأسواق بغير طريق شرعى ، من أبنية ، وسقائف ، ورواشن ، ومساطب^(١) واستمرت تلك العملية إلى سنة ٨٨٣ هـ - ١٤٧٩ م حيث أمر أيضاً باصلاح وجهات المساجد ، وطلاء رخامها ، فحصل بذلك نفع كبير .

وكان لتوسيع الطرق وتمهيدها أثر كبير فى الكشف عن وجهات المساجد المطلة على الشارع الرئيسى (المعز لدين الله) . وعين للإشراف على تنفيذ تلك الأعمال ، ملاحظاً للطرق^(٢) . كان يستحث الناس على سرعة إنجاز أعمال البياض والدهان ، حتى صارت القاهرة كأنها مستجدة البناء والزخرف ، وكذلك اهتم بتجميل شوارع القاهرة السلطان الناصر^(٣) أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباى ، فانه أمر فى سنة ٩٠٤ هـ - ١٤٩٨ م بأن ينادى فى القاهرة بأن جميع أصحاب الخوانيت التى بالأسواق والشوارع يبيضون وجوهها ، ويزخرفونها بالدهان ، ثم أمر بتبييض وجوه الرباع المطلة على الشوارع .

وكذلك اهتم السلطان الغورى بتمهيد الطرق وتعبيدها . فألزم السكان بالقيام بهذا العمل فى سنة ٩٠٩ هـ - ١٥٠٣ م^(٤) .

وإلى سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م كانت الحكومة تلزم السكان بتمهيد الطرق ، إذ فى هذه السنة كلف بهذه المأمورية مصطفى أغا المحتسب ، فنادى فى المدينة وأمر الناس بقطع أرضية الطرقات والأزقة حتى العطف والحارات الغير نافذة^(٥) .

ولم تغفل كتب اللغة شؤون الطرق ، فعالجت مسمياتها فى معاجمها ، وقد عكف على جمعها الباحث المدقق السيد سليم الجندى وسماها « رسالة الطرق »

(١) ابن اياس ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٧ ، النزهة السنية فى ذكر الخلفاء والملوك المصرية ص ١٣٥ .

(٢) تاريخ مصر لابن اياس ج ٢ ص ١٧٧ .

(٣) تاريخ مصر لابن اياس ج ١ ص ٣٤٦ .

(٤) تاريخ مصر لابن اياس ج ٤ ص ٥٩ .

(٥) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرق ج ٤ ص ٢٩٠ .

ونشرها تباعاً في تسع مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، بدأها في الجزأين السابع والثامن من المجلد الثامن عشر (جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م) ، وانتهى منها في المقال التاسع المنشور في الجزأين السابع والثامن من المجلد العشرين سنة ١٩٤٥ .

تجميل القاهرة

من تلك الأخبار نقف على أمر هام ، وهو أن العناية لم تقتصر على تعبيد الطرق وتمهيدها بالقاهرة ، بل تعدتها إلى تجميلها ، مما دعاهم أيضاً إلى ستر الخرائب عن العيون ، كما نفعل الآن بوضع لوحات الإعلانات عليها .

ذلك أنه لما استولى الخراب في زمن المستنصر بالله أمر الوزير أبو محمد اليازورى ببناء جدار يستر الخرائب عن نظر الخليفة الفاطمي حينما يتوجه من القاهرة إلى القسطنطينية ، وذلك فيما بين العسكر والقطائع ، وكذلك أقام جداراً آخر عند جامع أحمد بن طولون (١) .

وفي خلافة الأمر بأحكام الله عهد إلى وزيره أبي عبد الله محمد بن فاتك بتعمير الخرائب والفضاء فيما بين باب زويلة والسيدة نفيسة ، فنادى في القاهرة وأمر بأن من كانت له دار في الخراب أو مكان يعمره ، ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه ، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له في شيء منه ، ولا حكر يلزمه . فعمرت الخرائب وأصبحت المنطقة عامرة ، وأصبحت القاهرة لا تتخلها خرائب (٢) .

وكذلك نقلت أنقاض مدينة العسكر ومهدت ، فصار الفضاء فيما بين السيدة نفيسة إلى كوم الجسارح (وهي المنطقة التي مهد جزء من كيماها . والمعروفة بتلال زين العابدين .

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٠ .

ولأهمية بركة الفيل باعتبارها من أجمل متزهات القاهرة ، عني الناصر محمد بن قلاوون ، بتجميلها والمحافظة على رونقها ، فأمر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، باقامة حائط بطولها (١) ليحجب الأجزاء التي لم تعمّر من جهة الجسر الأعظم .

فرش الرمل الأصفر

وعلى ذكر تجميل القاهرة أذكر أن مصر عرفت فرش الرمل الأصفر في حفلاتها الرسمية منذ ألف عام ، فقد كان نظام حفلات الاستقبال في الدولة الفاطمية يقضى بفرش الرمل في الطريق المؤدى إلى القصر الفاطمي (٢) وأمامه ، وهذا ما كان متبعاً بمصر إلى وقت قريب جداً .

ظلت العناية بتعميد الطرق ، وإصلاحها وتجميلها موكولة إلى سكان القاهرة حتى عنيت بها الحكومة وأصدرت أوامرها في سنة ١٨٤٨ م ، بتعيين أربع بلوكات من ديوان الجهادية للقيام بتسوية وتمهيد الطرقات والشوارع في كل من نواحي الموسيقى ، والأزبكية (٣) وبولاق .

القضاء على الخرائب

وكذلك وجهت العناية إلى إزالة الدور المتخربة ، والقضاء على الخرائب التي تشوه القاهرة ، فصدرت الأوامر في سنة ١٨١٦ م بأعداد تجريدة من المهندسين للكشف على دور القاهرة ، فان وجدوا بها خللاً أمروا بإصلاحه أو هدمه ، وذلك على أثر (٤) سقوط منزل .

وتعجّلاً لعمرائها والقضاء على خرائبها ، صدر قرار آخر بتعمير الخرائب ، سواء أكانت مملوكة أم موقوفة ، وذلك في سنة ١٨٣١ م بعد إحصائها جاء فيه :

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) المواعظ والاعتبار للمقرئ ج ١ ص ٤٣٣ .

(٣) الوقائع المصرية العدد ١٠٦ الصادر في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٦٤ هـ .

(٤) عجائب الآثار للجبرتي ج ٤ ص ٢٥٣ .

« يؤذن بالقرار الصادر بشأن خرائب القاهرة التي أحصتها اللجنة برئاسة أمين أفندى ، وعضوية الباشمهندس الحاج مصطفى قوله ، والشيخ حسن أبو صفيحة مندوب المحكمة الشرعية ، والتي تبين من إحصائها أن عدد الخرائب بأقسام البوليس السبع^(١) بالقاهرة بلغ ٢٥٨ خرابة ليس في مقدور مالكيها القيام بترميمها ، فهذا القرار يعرض بأن تقسم هذه الخرائب إلى قسمين قسم تراه الحكومة لازماً لها فتأخذ وتعمره ، والقسم الآخر تتخذ الإجراءات اللازمة لبيعه لمن حوله من الجيران الموسرين الذين يستطيعون بناء وتشيدته » .

هذا ما يتعلق بالأعيان المملوكة ، أما الأعيان الموقوفة فقد صدر بشأنها أمر في سنة ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م نصه :

« يؤذن بقراره الصادر بشأن ٩٧٨ عيناً من عقارات الأوقاف كانت لجنة إحصاء خرائب القاهرة ذكرت في تقريرها أن نظار الأوقاف التابعة لم أخذوا على عهدتهم أن يرموها^(٢) .

وبما أن معظم هذه الحال لم تمسها يد الإصلاح إلى الآن ، فالجلس يرى وجوب قيدها في الديوان الخديوى ، مع إرغام نظارها على الوفاء بعهدتهم ، على أن لا يضمن عليهم بتقديم المعونة اللازمة من قبل ناظر الأبنية الأميرية .

وفي سنة ١٨٣٧ م صدر قانون بمعاينة المساكن الآيلة إلى السقوط وإزالتها هي والحيشان والدور المتخربة المستعملة كزرايب ومستودعات للقاذورات ، والتنبيه على أصحابها ببنائها مساكن ، وذلك في ظرف ثلاثين يوماً ، وإلا عرض العقار للبيع ، فإن لم يتقدم مشتر اشتريته الحكومة ، وإن كان تابعاً لوقف تنبه على ناظره بالبناء ، فإن لم يستطع يصير استبداله^(٣) .

(١) وثيقة رقم ٨٦ (١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٤٧) دفتر تركى ٧٨٤ .

(٢) وثيقة رقم ١٩١ (١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٤٧) .

(٣) تاريخ الإدارة الصحية في مصر ص ٣٨ - ٣٩ .

إزالة الكيمان وغرس الأشجار

وفي سنة ١٨٢٩ م أزيلت الكيمان المجاورة للقصر العالى (جاردن سیتی) والمعروفة بكوم العقارب ، وكان مسطحها تسعة أفدنة ، فأزيلت فى ٣٩٣ يوماً .

وكذلك أزيلت التلال فيما بين الناصرية وجاردن سیتی ومساحتها ٣٨ فداناً وغرست بأشجار الزيتون وغيرها (١) .

وكذلك أزيلت الأكمة ، التى كانت تسد الطريق إلى شبرا ، بجوار قنطرة الليمون وحولت إلى متنزه عام (٢) .

وفي سنة ١٤٨٦ استعجل الأمر الصادر بتوسيع أزقة وفتح شوارع الموسيقى وقطع كوم سلامة ، وشوارع بولاق وفم الخليج والقلعة (٣) .

وفي سنة ١٢٦٠ هـ — ١٨٤٧ م حولت المنطقة عند كوبرى الليمون إلى متنزه عام غرست فيه أنواع الزهور والأشجار (٤) .

وفي سنة ١٢٦٣ هـ — ١٨٤٧ م شرع فى توسعة الشارع من باب الحديد إلى الظاهر ، والمتصل بطريق السويس (٥) ، كما أجرى توسيع شوارع درب الجمايز ، وباب الخلق ، والمشهد الحسينى ، ثم غرست الأشجار فى الشوارع ، ومهد طريق متسع بين مصر وشبرا غرست على جوانبه أشجار الجميز واللبخ ، كان من أجمل متنزهات مصر .

وكذلك ردمت بركة الأزبكية وحولت إلى متنزه عام (٦) .
ثم غرست الأشجار على جانبي الشوارع الكبيرة . وحينما ظهرت آثارها

(١) الوقائع المصرية رقم ١١٤ (٢ رمضان سنة ١٢٤٥) .

(٢) تقويم النيل ج ٢ ص ٥٣٢ .

(٣) الوقائع المصرية .

(٤) الوقائع المصرية .

(٥) الوقائع المصرية عدد ٧٥ (١٣ شعبان سنة ١٢٦٣) .

(٦) الوقائع المصرية رقم ٨٩ فى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ .

من تجميل المدينة وتلطيف الجو ، صدرت الأوامر بغرسها على حافتي طريق الرميلة وقره ميدان (١) .

التغييرات الجوية

وكانت تصدر نشرة عن الظواهر الجوية في الوقائع المصرية تحت عنوان (ميزان هواى مصر) .

ظهرت لأول مرة في الوقائع المصرية الصادر في غاية ذى القعدة سنة ١٢٤٤ هـ ١٨٢٩ م .

مجلس الاشراف على تجميل القاهرة

في ٨ ذى الحجة سنة ١٢٥٩ - ديسمبر سنة ١٨٤٣ م ، صدر أمر بإنشاء مجلس للإشراف على تزيين وتجميل المحروسة ، وتعديل طرقها ، أسوة بما استحدث في الإسكندرية ، وهذا المجلس مؤلف من : (٢) رشيد افندى مفتش الأبنية الأميرية ، لينان افندى مهندس القناطر ، مصطفى بهجت رئيس قلم الهندسة بديوان المدارس .

مجلس تنظيم المحروسة

ورد ذكر هذا المجلس سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٧ م في الأمر الصادر بترقيم الدور وتسمية شوارع المحروسة .

وفي ٥ شعبان سنة ١٢٨٤ هـ - ٢ ديسمبر سنة ١٨٦٧ م ، صدر أمر بتشكيل مجلس بلدى وفصل إيراد مدينة القاهرة ومصرفها من نظارة المالية ، وإسناد إدارتها إلى هذا المجلس ليعمل على تنظيم المدينة ، وليكون له الحق في تنظيم ميزانيتها ، وصرف ما يراه مناسباً للأعمال النافعة ، شأنه في ذلك شأن المجالس البلدية في سائر الممالك (٣) .

(١) الوقائع المصرية عدد ٩٧ بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٢٦٤ .

(٢) دفتر ٢٠٩١ ورقة ١٤ ديوان المدارس .

(٣) إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ص ١١٦ .

من ذلك الوقت أخذت الحكومة في الإشراف بنفسها وعلى نفقتها القيام بأعباء كل تلك الأعمال .

كورنيش النيل

وعلى ذكر العناية بالنيل ، وتنفيذ عمل الكورنيش عليه من حلوان إلى القناطر الخيرية ذلك العمل الخالد في تاريخ مصر الحديث . وأنصع صفحة من صفحات حكومة الثورة العمرانية . أذكر أن النيل كان موضع الرعاية والاهتمام بترك شاطئه خالياً من البناء ، ولكنهم قديماً صبغوا قوانين تخليته بصبغة دينية ، فحذروا الناس من السكنى على شاطئه مباشرة ، وقالوا : إن الجالس على النيل كالجالس على الطريق (١) ، لأن البحر طريق للمرور فيه بالمركب ، وذلك منعاً لكشف عورات المسلمين ، وللبعد عن سماع فحش الكلام من التوتية وغيرهم ، صوناً للبنات والنساء .

ثم ذكروا أن العلماء نصوا على أن حرّم العيون خمسمائة ذراع ، وحرّم الأنهار ألف ذراع .

وفي أخريات سنة ٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م أمر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير باقامة جسر على النيل من القاهرة إلى دمياط ، وذلك حينما وصات إليه الأخبار بأن ملك قبرص تأمر مع غيره من ملوك الفرنج على غزو دمياط ، فاجتمع الأمراء واتفقوا على تنفيذ الجسر من القاهرة إلى دمياط . خشية أن تكون حركة الفرنج في زيادة النيل فيتعذر الوصول إلى دمياط ، وعهد إلى الأمير آقوش الرومي بتنفيذه . فكتب الأمراء إلى بلادهم بخروج الرجال مع الأبقار كل في منطقته ، وصدرت الأوامر إلى الولاية بمساعدة الأمير آقوش بالرجال والأبقار . فسارت الأعمال بهمة خارقة ، حيث عمل في تنفيذه ٣٠٠ جرافة بستمئة رأس بقر ، وثلاثين ألف رجل ، إلى أن فرغ في نحو شهر واحد ، فكانت المسافة من قلوب إلى دمياط تقطع في يومين . وعرض الطريق من أعلاه أربع قصبات ومن أسفله ست قصبات يسير فيه ستة رؤوس من الخيل صفوا واحداً .

(١) المدخل لابن الحاج ج ١ ص ٢٤٦ — ٢٤٨ .

فعم النفع به . وسلسكه المسافرين بعد ما كان يتعذر المرور فيه أيام فيضان النيل لغمره بالماء .

الإضاءة

كانت الإضاءة تعم الشوارع والحارات في الفسطاط ثم في القاهرة ، ذلك أنه في سنة ٣٨٣ هـ — ٩٩٣ م أمر الخليفة العزيز بالله بإضاءة المصايبيح على الدور وفي الأسواق^(١) . وفي ذي الحجة سنة ٣٩١ هـ — ١٠٠٠ م أمر الحاكم بأمر الله أن توقد القناديل في سائر البلد على جميع الخوانيت وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ، فنفذت أوامره . ولازم الحاكم بأمر الله الركوب في الليل ، وكان ينزل كل ليلة إلى المدينة متفقداً شوارعها وأخطاطها وأزقتها ، فتبارى السكان في الإضاءة ، وزينت القياسر والأسواق بأنواع الزينة^(٢) .

ولم تكن الإضاءة قاصرة على الدور والشوارع والخوانيت ، بل ألزم بها المشاة ، فكل إنسان يحمل فانوساً يضيء له ، ومنها الصغير للفرد والكبير يسير به الضوى أمام سادته . هذا عدا المشاعل التي تتقدم المواكب .

والطريف في أمر الإضاءة في المواكب ما اتخذ منها لمنع التصادم ومنع الخطر في الليل ، وأول من حمل الشمع معه على البغال في الليل محمد بن طنجج الأخشيدي منذ عشرة قرون ونصف . فكانت الشمعة تحمل على مؤخر البغل وفراش راكب أمامها يلتفت إليها بين آونة وأخرى يصلحها أو يضيئها ، ولاشك في أنه كان يسير في مؤخر الركب ، بل وفي مقدمته أيضاً^(٣) .

ومنذ ذلك الوقت شاع استعمال الفوانيس التي تحمل على البغال مع الفانوسية أمام وخلف ركب الملوك في الليل . وظلت أوامر الإضاءة على الدور والأسواق منفذة على سكان مصر تصدر بشأنها الأوامر بين آونة وأخرى^(٤) ، إلى أن كان

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ج ٢ ص ١٠٨ .

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ج ٢ ص ١٠٨ .

(٣) صبح الأعشى ج ١ ص ٤١٦ .

(٤) عجائب الآثار للجبرتي ج ٣ ص ٤١ .

عهد الحملة الفرنسية بمصر سنة ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م فانهم أمروا بإبطال القناديل التي كانت توقد في الليل على الدور والدكاكين . وأن يؤتدوا عوضاً عنها في وسط السوق مجامع في كل مجمع أربع قناديل ، وبين كل مجمع ٣٠ ذراعاً ، يقوم بذلك الأعيان دون الفقراء ، ثم عادت الإضاءة إلى نظامها القديم .

مكافحة الحريق

كان في مدينة الفسطاط في عهد والى مصر عبد العزيز بن مروان ، فرقة إطفاء مكونة من خمسمائة عامل لمكافحة حريق طارئ في البلد^(١) أو هدم ، ولقد شملت أوامر الإضاءة أمام الدور والدكاكين منذ الدولة الفاطمية ضرورة وضع زير مملوء بالماء أمام كل حانوت مخافة حدوث حريق في مكان فيطفاً بسرعة^(٢) .

ولما كثرت الحرائق في سنة ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م أمر الحاكم بأمر الله باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة ، وإزالة السقائف التي على أبواب الحوانيت والرواشن التي تظال الباعة فنفذت أوامره بالفسطاط والقاهرة^(٣) . وفي سنة ٥١٧ هـ - ١١٢٣ م أمر الوزير المأمون والالين بمصر والقاهرة ، بإحضار رؤساء السقائين وأخذ التعهدات عليهم باستعدادهم للحضور كلما دعت الحاجة إليهم ليلاً ونهاراً . ورتب عدداً من العتالين كي يبيتوا على باب كل معونة (مركز الشرطة) مع عشرة من الفعلة ومعهم الطوارق والقرب مملوءة بالماء . على أن تتكفل الحكومة بنفقاتهم^(٤) .

وبمناسبة الحرائق التي حدثت بمصر والقاهرة سنة ٧٢٠ هـ - ١٣٢٠م نودي في القاهرة بوضع زير أو دن مملوء بالماء عند كل حانوت ، وأن يقام مثل ذلك في الحارات^(٥) والأزقة .

- (١) المقرئى المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٧٨ .
- (٢) المقرئى المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٠٧ .
- (٣) المقرئى المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٠٨ .
- (٤) المقرئى المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٦٣ .
- (٥) المقرئى المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥١٤ .

والى القرن الخامس عشر كان والى الطوف (صاحب العسس) يجلس كل ليلة بعد العشاء فى منطقة الغورية وأمامه مشعل وحوله عدة من الأعوان وكثير من السقائين ، والنجارين ، والقصارين ، والهدادين بنوب مقررة لهم ، خوفاً من أن يحدث فى القاهرة حريق بالليل ، فيتداركون إطفاءه ، ومن حدث منه فى الليل خصومة ، أو وجد سكراناً ، أو قبض عليه من السراق ، تولى أمره والى الطوف ، وحكم عليه بما تقتضيه الحال^(١).

مصلحة الإطفاء

ظل الشعب بالاشتراك مع الحكومة يكافح الحرائق إلى حوالى سنة ١٨٤٥م حيث أنشئ قسم لطلميات الحريق (مصلحة الإطفاء) وإلحاق تسعين جندياً به ، وإبداع طلبية فى كل خط من أخطاطها ، واستحضرت الأدوات اللازمة لصنع آلات الإطفاء بمصر .

ثم صدرت التعليمات إلى المشرفين على المطافئ بأن يرفعوا عقب كل حريق تقريراً عن أسباب الحريق ، وبيان الخسائر ، والمدة التى أخذ فيها الحريق .
وتحدثنا الوقائع المصرية عن نماذج لبعض الحوادث ووصفها ، ننشرها بنصها :

« فى ١٠ شوال سنة ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧ م وصل الخبر إلى الضبطية بظهور حريق فى الساعة الرابعة من ليلة ٢٧ رمضان الماضى فى منزل على الزيات بباب الشعرية ، فأرسلت الضبطية ما لزم من الطلمبات والطلومبيجية ، وحصل تدارك الحريق بطلومية الخط المذكور أيضاً ، فحصل لإخمادها سريعاً ، ولكنه نفق بسببها بقرتان وثوران وحمار .

ونشرت فى العدد الصادر فى ١٧ شوال سنة ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧ م أن مخزن الليف ببولاق ملك الشيخ محمد صقر ، ظهرت به حريقه فى الساعة الثانية من يوم الجمعة الموافق نهاية الشهر الماضى ، ولما وصل خبره إلى الضابطخانة أرسلت من طرفها ومن طرف الطلومبيخانه بعض الطلمبات مع مأموريها وبذلوا

(١) المقرئى المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ١٠٣ .

جهدهم الزائد مع الطلمبجية المختصين ببولاق ، فأخذوها ، ولم يحترق سوى جانب من ليف كان موجودا بالمخزن (١) .

وفي فبراير سنة ١٨٧٥ م تحرر من وزارة الخارجية إلى الحكومة الانجليزية بطلب انتداب اليوزباشى شو رئيس فرقة المطافىء بلوندره ، لاستشارته فى الإجراءات التى تتخذ ضد الحريق ، وتنظيم فرقة المطافىء بالقاهرة ، والإقامة لهذا الغرض بضعة أيام للإدلاء برأيه فى هذا الشأن (٢) .

وكان الإطفاء بواسطة آلات تدار بالبخار ، تجرها جياد دربت أحسن تدريب كانت تتحرك من أماكنها بمجرد سماعها جرس الحريق وتقف فى مكانها من سيارة الإطفاء ، وظلت مستعملة إلى أن استبدلت بسيارات الإطفاء فى سنة ١٩٢٠ .

تسمية الشوارع وترقيم الدور

عهدنا بالشوارع والحدارات والرحاب فى القاهرة أن تطلق عليها أسماء التجارية والصناعات التى تشغلها ، كما أطلق عليها أسماء بعض القبائل والأفراد كما هو واضح ومدون فى أول الجزء الثانى من خطط المقريرى ، وما هو وارد فى الحجج القديمة .

وفى سنة ١٨٤٧ م وبعد أن نظمت القاهرة وشقت فيها الشوارع ، وغرست بها الأشجار وأضيئت ، رأى تسمية الشوارع وترقيم الدور ، فصدر الأمر بذلك فى سنة ١٢٦٢ هـ — ١٨٤٧ م مستهلاً بتلك الديباجة :

«لما كانت كتابة أسماء الأزقة بمصر المحروسة على محل يناسبها فوق زواياها ، وتنمير البيوت الكبيرة والصغيرة برقم نمرها بأعلى أبوابها أو بجانبها ، كأسلوب أوروبا ، مما يستوجب المنافع العظيمة للمملكة ، ويورث السهولة لمن يقصد زقاقاً أو بيتاً ، سواء كان من الأهالى أو من الأجانب ، استقر رأى بمجلس

(١) الوقائع المصرية عدد رقم ٨٣ سنة ١٢٦٣ هـ — ١٨٧٤ .

(٢) إسماعيل كما تصوره الوثائق ص ١١٧ .

تنظيم المحروسة ، على التدابير اللازمة لذلك ، طبق الإرادة السنية ، واندرج
بيانها تفصيلاً في نسخ الوقائع المنمرة برقم ٦٤ وحصل في هذه الأيام الشروع
في إجراء ذلك ابتداء من باب الخلق بمقتضى الترتيب الآتي ذكره أدناه وهو
خمسة عشر بنداً :

(البند الأول)

حيث إن خليج مصر المحروسة ماراً من وسطها تقريباً ، وكان باب الخلق
متصلاً بالخليج المذكور ، ومركزاً لمصر المحروسة ، استنسب أن تكون الجادة
الممتدة من باب الخلق إلى القلعة ، تسمى بشارع القلعة (١) ، ويكتب على رأس
زوايا تلك الطرق اسم شارع القلعة وتكتب نمر البيوت الكائنة هناك على أرضيات
بيضاء بحداد أسود ، يحيط بها برواز لونه كلون مداد الأحرف ، وتنمر البيوت
التي عن يمين المار بباب الخلق بنمرة الوتر ، والتي عن يساره بنمرة الشفع ،
أى تكون التي في الجهة اليمنى غير مزدوجة ، والتي في الجهة اليسرى مزدوجة
إلى انتهائها بناحية القلعة .

(البند الثانى)

أن تسمى الطريق الممتدة من باب الخلق إلى مبرك النوق المعبر عنه الآن
بباب اللوق بشارع باب اللوق . وابتدأ بالنمر من باب الخلق على الوجه المشروح
بالنسق المذكور فى الأحرف والبرواز والأرضية .

(البند الثالث)

إن الجادة الممتدة من باب السيدة زينب البرانى ، إلى غاية قره قول باب الخلق
تسمى بشارع السيدة زينب ، ويكون لون أرض لوحها أصفر ، ولون أحرفها
وبروازها أحمر .

(البند الرابع)

إن الطريق الممتدة من باب الخلق إلى زاوية الموسيقى ، تسمى بشارع
باب الخلق ويكون لون أحرفها أحمر كذلك ، وأرضية لوحها صفراء .

(١) كان الشارع الرئيسى الموصل الى القلعة من باب الخلق هو تحت الربيع ، فالدرج الأحمر
فالتبانة ، فباب الوزير حيث لم يكن شارع محمد على موجوداً وقتئذ .

(البند الخامس)

إن الجادة التي من زاوية الموسكى إلى غاية باب العدوى ، تسمى بشارع الشرانى ، وتكون أحرفها حمراء أيضاً ، وأرض لوحها صفراء .

(البند السادس)

إن الطريق الممتدة من قره قول السيدة زينب إلى القلعة ، تسمى بشارع الرميلى ، وتكون أحرفها وبروازها بالمداد الأسود ، وأرضيتها بيضاء .

(البند السابع)

إن الجادة الناهية من قره قول الصليبية إلى باب زويلة ، تسمى بشارع الصليبية ، ويكون لون خطها أحمر على أرضية صفراء .

(البند الثامن)

إن الطريق الممتدة من السيدة نفيسة إلى قره قول الصليبية ، تسمى بشارع السيدة نفيسة ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، وأرضيتها صفراء .

(البند التاسع)

إن الجادة الممتدة من باب زويلة إلى سبيل الجمالية ، تسمى بشارع الغورى ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، على أرضية صفراء .

(البند العاشر)

إن الطريق الممتدة من سبيل الجمالية إلى باب الفتوح ، يعبر عنها بشارع باب الفتوح ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، وأرضيتها صفراء .

(البند الحادى عشر)

إن الجادة التي من السبيل المذكور إلى باب النصر ، تسمى باب النصر ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، وأرضيتها صفراء .

(البند الثانى عشر)

إن الجادة الكائنة من قره قول باب الشعرية إلى الباب الجديد ، يعبر عنها بشارع الباب الجديد ، ويكون لون خطها وبروازها أسود .

(البند الثالث عشر)

إن الطريق التي من القره قول المذكور إلى باب الفتوح ، تسمى بشارع مرجوش ، ويكون لون خطها وبروازها أسود .

(البند الرابع عشر)

إن الطريق الممتدة من زاوية الموسيقى إلى الاسبتالية (١) الملكية السكائنة بالأزبكية تسمى بشارع الموسيقى ، ويكون لون خطها وبرازها أسود .

(البند الخامس عشر)

إن الطريق الممتد من شارع باب الخلق ، إلى شارع الغورى ، تسمى بشارع الحمزاوى ، ويكون خطها وبرازها أسود .

وأعقب البند الخامس عشر هذا التعليق :

« لما كانت الشوارع المحررة أعلاه إذا كتبت أسماؤها على الحيطان يحصل فيها مشقة على من يكتبها ولا تتحصل بسرعة كما ينبغي ، بل تطول مدتها ولا يمكن كتابتها مع الراحة بسبب ذهاب الناس وإيابهم فى الأزقة ، ومرور الحيوانات ذوات الأحمال والعربات أيضاً ، استنسب أن تحرر أسماؤها على ألواح ثم تعلق عليها وتسمر بالمسامير .

ومن حيث أن نمر البيوت ليست بالمثابة المذكورة لزم أن تكون كتابتها فوق الأبواب أو بجانبها حسب الاقتضاء . وإذا كانت النمر المذكورة ترتب على قدر طول الشوارع كما ذكر . ومن المعلوم أن كل شارع منها يشمل محلات كثيرة مسماة بأسماء مشهورة ، استنسب أن تكون كتابة اسم الشارع المشتمل على النمر فى ألواح الزوايا بخط جلى وأن يكتب اسم المحل تحته بخط رفيع بالنسبة إليه ، حتى أن كل من نظر إلى اللوحة يعلم اسم المحل الذى هو فيه .

ولما كان من مقتضيات الإرادة السنية لإتمام مأمورية تنمير البيوت التى فى الأزقة الآتى ذكرها بسبب ما حصل من اجتهاد المأمورين والعمال الذين عينوا لذلك وشرع فى وضع نمر ما بقى من البيوت . وعند انتهائها يدرج ذكرها فى الوقائع ليكون معلوماً للعامة .

(البند السادس عشر)

إن الجادة الممتدة من قنطرة السيدة زينب إلى باب حارة الزير المعلق بآخر شارع درب الحجر ، تسمى بشارع الناصرية ، تكتب نمرتها بالمداود الأحمر .

(١) هى دار الشفاء التى كانت بالمعينة الخضراء .

(البند السابع عشر)

إن الطريق الممتد من قنطرة سنقر إلى باب الزير المعلق ، تسمى بشارع
درب الحجر ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الثامن عشر)

إن الطريق التي من باب قره قول سويقة السباعين ، بشارع الناصرية
إلى حارة السقاين ، تسمى بشارع درب الحمام وتكتب نمرتها بالمداد الأسود .

(البند التاسع عشر)

إن الطريق التي من باب الزير المعلق الكائن بدرب الحجر إلى بيت
شربتجي باشا ، تسمى بسكة الزير المعلق ، وتكون نمرتها بالمداد الأحمر .

(البند العشرون)

إن الطريق التي ابتدأوها من شارع درب الحجر المارة من عابدين المنتهية
إلى جادة باب اللوق ، تسمى عابدين ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند الحادى والعشرون)

إن الجادة الممتدة من شارع باب اللوق المارة تجاه بيت حضرة الباشا
مدير المالية المنتهية إلى الجبانة ، تسمى بشارع البيدق ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثانى والعشرون)

إن الطريق التي تمتد من باب الخوخة إلى شارع باب اللوق ، تسمى بشارع
البلاقسة ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثالث والعشرون)

إن الطريق الممتدة من باب درب أبى الليف إلى شارع الشيخ ريحان ، تسمى
بشارع حارة السقاين ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الرابع والعشرون)

إن الطريق الممتدة من درب باب أبى الليف بشارع الناصرية إلى باب حارة
السقاين ، تسمى بشارع أبى الليف ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند الخامس والعشرون)

إن الجادة الممتدة من شارع الأستاذ الحنفى إلى جادة الناصرية ، تسمى بدرب القرودى ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند السادس والعشرون)

إن الطريق الممتدة من قنطرة السيدة زينب إلى عطفة عمر شاه ، تسمى بشارع الدرب الجديد . والطريق الممتدة من باب عطفة عمر شاه الموصلة إلى شارع الهياثم ودرب القرودى ، تسمى بشارع سوقة اللالة ، والطريق الممتدة من الشارع المذكور إلى جادة الناصرية ، تسمى بشارع الحنفى ، وتكون نمر هذا الطريق بالمداد الأحمر ، والطريق التى من جادة الحنفى إلى سبيل الخليج ، تسمى بشارع الهياثم ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند السابع والعشرون)

إن الطريق الممتدة من قنطرة عمر شاه إلى شارع الدرب الجديد ، تسمى بشارع عمر شاه ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الثامن والعشرون)

إن الطريق الممتدة من جادة درب الجماميز إلى عطفة كورأعلى ، تسمى بشق العرسة ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند التاسع والعشرون)

إن الطريق التى تمتد من جادة حضرة السيدة زينب إلى عطفة الشيخ السادات ، تسمى بعطفة كورأعلى ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند الثلاثون)

إن الجادة التى تمتد من قنطرة درب الجماميز إلى شارع الحنفى ، تسمى بشارع خليل طينة ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الحادى والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من شارع السيدة زينب المسارة نحو بيت الشيخ السادات المنتهية إلى بركة الفيل ، تسمى بشارع السادات ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الثاني والثلاثون)

إن الجادة المبتدئة من أمام مسجد السيدة زينب الممتدة إلى الجهة الغربية من الخليج ، تسمى بحارة السيدة زينب ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند الثالث والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من جانب قنطرة سنقر إلى عطفة قرا على بجوار الخليج تسمى بشارع الخليج ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الرابع والثلاثون)

إن الطريق المبتدئة من الباب المحاذي لقنطرة الذي كفر المنتهية إلى شارع عابدين ، تسمى بشارع رحبة عابدين ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الخامس والثلاثون)

إن الطريق المبتدئة من باب حارة النصارى المارة من سوق الجمعة الممتدة إلى سويقة السباعين بجادة الناصرية ، تسمى بشارع سوق الجمعة ، وتكتب نمرتها بالمداد الأسود .

(البند السادس والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من باب حارة النصارى الكائن بشارع سوق الجمعة المتصل بقنطرة سنقر ، تسمى حارة النصارى ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند السابع والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من الباب القريب من درب الجواميز إلى شارع سوق الجمعة ، تسمى بسوق مسكة ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند الثامن والثلاثون)

إن الزقاق الممتد من شارع الحنفى إلى سوق الجمعة ، يسمى بعطفة الفقوسة ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند التاسع والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من شارع السيدة نفيسة إلى سوق العصر المعادلة لجادة طولون ، تسمى بشارع درب الحصر ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند الأربعون)

إن الطريق الممتدة من شارع طولون المنتهية إلى شارع الرميطة ، تسمى بسكة
بئر الوطاويط ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الحادى والأربعون)

إن الطريق الممتدة من أمام بئر الوطاويط الواصلة إلى باب البركة ، تسمى
بسكة أزيك ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثانى والأربعون)

إن الطريق الممتدة من عمارة حسنى باشا المارة على الشيخ نور الظلام ،
الواصلة إلى جادة الصليبية قريباً من بيت محمود بك ، تسمى بسكة الشيخ
نور الظلام ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثالث والأربعون)

إن الطريق الممتدة من الحجر أمام بيت المرحوم ابراهيم باشا يكن ، الواصلة
إلى شارع سوق السلاح ، تسمى بسكة الكومى ، ونمرتها تبدأ من جادة
سوق السلاح ، وتكتب بالممداد الأسود .

(البند الرابع والأربعون)

إن الطريق الممتدة من أمام قره قول باب الوزير إلى سكة الكومى ، تسمى
بعطفة الكوم الوسخة ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الخامس والأربعون)

إن الطريق المبتدئة من شارع القلعة الممتدة إلى سكة الكومى ، تسمى بدرب
القزازين ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند السادس والأربعون)

إن الطريق الممتدة من جامع ابراهيم أغا الكائن بشارع القلعة إلى جامع
أصلان (أصلم) ، تسمى بدرب شغلان ، وتنمر بالممداد الأحمر .

(البند السابع والأربعون)

إن الطريق الممتدة من قره قول التبانة إلى درب المحروق ، تسمى بشارع
النبوية وتنمر بالممداد الأحمر .

(البند الثامن والأربعون)

إن الطريق الممتدة من الدرب المحروق إلى باب المحجر ، تسمى بالدرب المحروق وتنمر بالمداد الأحمر .

(البند التاسع والأربعون)

إن الجادة الممتدة من جامع قجاس الكائن بالدرب الأحمر بشارع القلعة إلى الدرب المحروق ، تسمى بـالمش^(١) وتنمر بالمداد الأسود .

(البند الخمسون)

إن الطريق المبتدئة من باب الخلق الممتدة إلى جادة الحمزاوى ، تسمى درب سعادة ، وتنمر بالمداد الأحمر^(٢) .

ونشرت الوقائع المصرية فى عددها رقم ٨٤ فى ٧ شوال سنة ١٢٦٣ هـ ، أن الإرادة السنية تعلقت بتنمير المساكن والدكاكين والأزقة وجميع المحال بمصر والاسكندرية . كما صدر أمره العالى أن يتبع هذا النظام أيضاً فى رشيد ودمياط ، ثم باقى بنادر الوجه البحرى ، كالمنصورة ، وسمنود ، وفوه ووطنندا ، وأسيوط وغيرها من البنادر المماثلة لها ويكون ذلك بمعرفة الضباط الأربعة المكلفين بالتنمير بمصر المحروسة .

* * *

نخرج من هذا البيان بعدة فوائد: أولها تخطيط القاهرة فى القرن التاسع عشر مع بيان هام لكبر شوارعها وبعض سككها المتفرعة منها، وبواباتها وتحديد بعض قره قولات البوليس بها، غير أننى أقرر أن لهذا البيان ملحقات لم أقف عليه، لأنه لم يتناول أسماء الشوارع فى مصر القديمة ولا بولاق؛ بالرغم من وجود لافتات بها، ومع أنى عثرت على الكثير من لافتات الشوارع ونمر الدور فى المناطق الواردة

(١) رأيت هذه اللافتة على منزل خلف مسجد قجاس (أبو حريبة) . من الجهة البحرية الشرقية وقد هدم وأعيد بناؤه .

(٢) الوقائع المصرية العدد ٨٣ فى ٢٩ رجب سنة ١٢٦٣ هـ وتقويم النيل ج ٢ ص ٥٤٧ —

. ٥٥٢

(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٥٥٤ والعدد ٧ من الوقائع المصرية فى ٤ رمضان سنة ١٢٦٣ هـ .

في هذا البيان وخاصة الشوارع الرئيسية ، فاني وجدت الكثير منها في شوارع بولاق ، ومصر القديمة ، غير أنها لم ترد في هذا البيان ، وهي مناطق أثرية أهلة بالسكان . كما أنه لم يتضمن مسميات الحارات في المناطق التي سمى شوارعها (١) . بالرغم من وجود لافتات بها .

وقبل التحدث عنها ، أناقش التعليق الملحق بالبند الخامس عشر ، والمتضمن صعوبة كتابة أسماء الشوارع على الجدران ، لما فيه من مشقة على كاتبها بسبب مرور الناس والعربات ذات الأحمال ، واستحسان كتابتها على ألواح خشبية تعلق وتثبت .

والأمر الثاني تلوين بعض اللوحات في مختلف الأحياء . فأذكر أن جميع اللوحات التي عثرت عليها من الجص المثبت على الجدران . وأن مسمياتها وألوانها تتفق مع ما جاء في بنود البيان . كما أن الكثير من الكتابات بالمداد الأسود ، ووجدت في أرضيات بعضها أثر التلوين ، وهذا يجعلني أؤكد أنه حصل عدول عن كتابتها على ألواح خشبية وعن التلوين في بعضها واستعويض عنها بألواح جصية . صبت وكتبت ثم لونت وركبت أو عملت على (بيتها) حسب اصطلاح الصانع وهو سر بقائها للآن . وكانت ملونة وفقدت تلوينها حيث وصلت إلينا مع مضي الزمن بيضاء أو حروفها بيضاء .

ومما يعزز أن تلك اللوحات عملت تنفيذاً للأمر الصادر سنة ١٨٤٧ ، مطابقة نصورها للبيان كما أسلفت ، وأن جميع ما عثرت عليه منها مثبت على منشآت أثرية تسبق عصر محمد علي أو على منشآته أو منشآت عصره ، وأذكر على سبيل المثال بعض الأماكن المثبتة عليها : باب الفتوح -- باب زويلة -- مسجد قجاس الإسحاق بالدرب الأحمر -- سبيل عمر أغا بشارع التبانة -- مسجد إيتمش البجاسي برأس باب الوزير -- سبيل العقاديين (محمد علي) بحارة الروم -- مسجد الغوري منزل أوده باشي بالجمالية -- بوابة السلحدار برأس حارة بيرجوان -- دار المحفوظات بالقلعة ، وسور العلقه -- باب درب اللبانة بالمنشية -- مسجد مرزا ببولاق -- مسجد

(١) لعل البيان الذي ننشده هو المشار إليه في العدد ٦٤ من الوقائع ، أو لعله السابق الوعد به في التعليق على البند الخامس عشر . والقائل فيه « عند انتهاء التسميات يدرج ذكرها في الوقائع ليكون معلوماً للعامة .

القاضي يحيى بشارع المحكمة ببولاق ، سبيل حيش تحت الربع - سبيل السلطان مصطفى بميدان السيدة زينب - سبيل السلطان محمود بدر الجماميز - مسجد قراقبا الحسينى باللبودية - باب قايتباى بالسيدة عائشة - مدفن تمرباى الحسينى بشارع القادرية بالخليفة - سبيل القبرصلى بالفحامين - بوابة كنيسة أبى سرجة وحارة مار جرجس بمصر القديمة - وكالة المنشآت ببولاق - سبيل محمد كتحلاً بالدواوية .

وجميع الأماكن التى ذكرت تسبق سنة ١٨٤٧ م ومنها ما هو من منشآت القرن التاسع عشر المنشأة قبل صدور الأمر بعمل اللوحات .

كما أنها لم توجد على منشآت معارية بعد سنة ١٨٤٧ مما يجعلنى أؤكد أن جميع ما عثرت عليه منها يرجع الى أول القرن التاسع عشر ، وفقط استعيرض عن اللوحات الخشبية بلوحات جصية كانت أيسر تثبيثاً وبقاء .

وبدراسة الشوارع الرئيسية طبقاً لما ورد فى بنود هذا البيان ، وجدت لوحاتها الموجودة مطابقة لها . فقد نص البند الأول على تسمية الشارع الممتد من باب الخلق إلى القلعة ، باسم شارع القلعة ، فوجدت أن اللوحة المثبتة على البنية الغربية لباب زويلة مكتوب عليها (شارع القلعة) بحروف سوداء تحتها لوحة بيضاوية صغيرة كان بها اسم الشارع الفرعى - لعله الدرب الأحمر^(١) - وهذا يطابق ما ورد فى التعليق الملحق بالبند الخامس عشر من كتابة اسم الشارع بخط جلى وكتابة اسم المحل تحته بخط رفيع بالنسبة إليه - كما وجدت لوحة مثبتة على سبيل عمر أغا أما مسجد آق سنقر (ابراهيم أغا مستحفظان) بشارع باب الوزير مكتوب عليها شارع القلعة وعلى اللوحة البيضاوية تحته الخربكية بخط فارسى صغير ، وقد اتفقت نصاً وتلويناً .

وجاء فى البند التاسع أن الجادة الممتدة من باب زويلة الى الجمالية ، تسمى بشارع الغورى ، ويكون لون خطها وبروازاها أحمر وأرضيتها صفراء .

وبفحص اللوحة الموجودة على البنية الشرقية لباب زويلة ، وجدت ما مكتوباً عليها (شارع الغورى) وقد بدت بقايا الحروف بيضاء وبالأرضية أثر تلوين

(١) هو فعلاً الدرب الأحمر لأن البند رقم ٩ اعتبر جامع قجاس الأسحاق بشارع الدرب الأحمر.

يميل إلى الصفرة وعلى اللوحة البيضاء تحتها كتب بخط فارسي (السكرية) ،
وتبدو الحروف بيضاء لزوال التلوين . وقد اتفقت نصاً وتلويناً .

وينص البند العاشر على أن تسمية الطريق من سبيل الجمالية إلى باب الفتوح ،
باب الفتوح تكتب باللون الأحمر — ويفحص اللوحة المثبتة على باب الفتوح
تبين أنه كان مكتوباً عليها بالمداد الملون (باب الفتوح) .

وينص البند الثالث على تسمية الشارع الممتد من باب السيدة البراني
إلى قره قول باب الخلق ، شارع السيدة بحروف حمراء على أرضية صفراء
وبرواز أحمر . ويفحص اللوحات التي عثرت عليها وجدت إحداها على مسجد
قراقجا الحسني مكتوب على الرئيسية منها شارع السيدة والفرعية درب الجمايز ،
ويغلب على الحروف البياض مما يفيد فقدان اللون ، وفي الأرضية اصفرار .

والثانية على سبيل السلطان محمود ومكتوب عليها شارع درب الجمايز ؛
والفرعية ضلع (١) السمكة ، ويغلب على الحروف البياض مما يفيد فقدان اللون
وفي الأرضية اصفرار .

وهذا يعزز ويؤكد اتفاق ما عثرت عليه في أهم الشوارع مع ما جاء
في البنود نصاً وتلويناً .

وقد وجدت أثر التلوين في أرضية لوحة سكة باب الوزير على مسجد
إيتمش البجاسي بشارع القلعة القديم ، وجلبا في الإطار الأحمر حولها .

وقد اتفقت تلك اللوحات في الوصف والمقاس ، فاللوحات الرئيسية مستطيلة
مقاسها ٨٧ × ٤٧ سم والفرعية تحتها بيضاوية ، مقاس ٤٩ × ٤١ سم .

أما نمر الدور فيوجد الكثير منها على الدور السابقة للقرن التاسع عشر
ومنشآت أوائله ، وهي مربع صغير من الجص أحيط بإطار من البوابة السوداء
أو الحمراء يتوسطه الرقم باللون الأسود ، أو الأحمر ، ومنها ما هو مثبت على جانب
الباب أو فوق عقده ، وقد وجدت منها الكثير في مصر ورشيد والمنصورة .

(١) لم يرد في البنود ذكر للتسمية الفرعية (ضلع السمكة) وقد ذكرها على باشا مبارك
عند ذكره لمسجد كاتم السر الذي هدم في توسعة الخليج وعند ذكره لتسمية السلطان محمود في الجزء
الثالث ص ٩ من الخطط التوفيقية .

ومن البلدان التي عثرت فيها على لافتات بأسماء الشوارع (أسيوط) حيث وجدت لوحة على مسجد الكاشف، ومدينة رشيد، حيث وجدت عدة لوحات، منها ما هو على مسجد الشيخ تقي، وعلى منزل الأمصيلي، وعلى منزل المناديلي والحاج يوسف بحارة الحاج يوسف، وكلها أماكن منشأة في القرنين الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلادي وهي تطابق مثيلاتها في مصر، غير أنها خالية من اللوحات الفرعية.

ولا شك في أن ما وجدته من لوحات أسماء الشوارع ونمر الدور في مصر والأقاليم باقية من وقت صدور الأمر بعملها.

بوابات الحارات

بعد أن امتد العمران خارج القاهرة وأحدثت في أسوارها أبواب جديدة لتعدد مسالكها، أقيمت على الدروب والحارات أبواب لمنع السرقات، ذلك أنه في سنة ٨٦٤ هـ - ١٤٥٩ م كثرت السرقات، فاهتم^(١) الأغنياء باقامة البوابات على الحارات والدروب، وعينوا لها البوابين فكانت تغلق عقب صلاة العشاء وبعضها كان يغلق عقب الغروب بقليل.

وقد نهت الكتب المؤلفة في سياسة الدول الإسلامية على ضرورة يقظة حارس الدرب، وعدم السماح للغرباء بالدخول إلا بعد التحقق^(٢) منهم، والتحري عنهم، وأن يقوم بالتبليغ عن الحرائق والسرقات، ولا يدلي بأسرار السكان لوال أو لغيره.

وقد ورد ذكر أبواب الدروب والحوخات في عدة حوادث من تاريخ القاهرة نذكر فقرات منها.

في سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ م أمر والي القاهرة، بأن ينادى باسم السلطان. بأن سكان الأسواق والحارات يعملون عليها دروباً، فامتثلوا لأمره، وبنيت بالقاهرة عدة دروب: منها ما هو على سوق تحت الربع وعلى سوق أحمد بن طولون، وعلى سوق أمير الجيوش وغير ذلك من الأسواق والحارات. لأن المناسرات كانت

(١) حوادث الدهور لابن تفرى بردي قسم ٢ ص ٣٣٢.

(٢) معيد النعم ومبيد النقم ١٤٥.

كثرت في تلك الأيام ، وصاروا يهجمون على الأسواق والحارات (١) .

وفي سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م أمر الأمير الماس والى الشرطة بالقاهرة بأن يعمر السكان على الحارات والأزقة دروباً في أماكن شتى ، فعمروا دروباً في رأس سوق الدريس ، وفي الحسينية ، وعلى قنطرة الحاجب ، وعند المقس (٢) وعدة دروب في أماكن شتى ، وأن يعلقوا على كل دكان قنديلاً ، وأن لا يخرج أحد من الناس من بيته بعد العشاء ، وذلك اتقاء لشر اللصوص وحدوث الحرائق المفتعلة .

وحينما كانت تقع اضطرابات سياسية أو غيرها كانت تغلق أبواب المدينة وأبواب الدروب والخوخت التي بالحارات . وهذا ما حدث في (٣) ٢٩ ذى القعدة سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م .

وقد حدثنا عن تلك البوابات الجبرقي في عهد الاحتلال الفرنسي لمصر فقال :
في سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م شرع الفرنسيون في تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة ، وخرج عدة من عساكرهم يخلعون أبواب الدروب والعطف والحارات . كما خلعوا أبواب الدروب الغير نافذة أيضاً ، ونقلوا الجميع إلى بركة الأزبكية عند رصيف الخشاب .

وفي جمادى الأولى من تلك السنة خلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة الغير نافذة ، وهى التى تركت وسومح أصحابها وبرطلوا عليها . وكذلك دروب الحسينية ونقلوها إلى ما جمعه من البوابات بالأزبكية ، ثم كسروها وباعوها للوقود (٤) .

ومن وصف الجبرقي نعلم أن البوابات استعملت بكثرة للحارات والدروب .
وفي أوائل القرن التاسع عشر وحينما استتب الأمن (٥) صدرت الأوامر بنزع البوابات التى على الدروب مبالغة في استقراره .

- (١) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس ج ٢ ص ٣٣٦ .
- (٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس ج ٣ ص ٣٣ .
- (٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس ج ٣ ص ١٤٣ .
- (٤) عجائب الآثار للجبرقي ج ٣ ص ٢٩ .
- (٥) عبر البشر في القرن الثالث عشر ص ٤١ (خط) .

ورغم ما أصاب البوابات من التخريب فقد بقيت منها بقية صغيرة في أنحاء القاهرة كان الفضل في بقائها تسجيلها ضمن الآثار العربية مثل باب حارة زقاق المسك بالخيمية ، وحارة الألايلي بالغورية وبوابة طرباي بباب الوزير وباب درب الميضة بالجمالية ، وباب حارة برجوان بالنحاسين ، وباب متصل بقبة تراحجازية بالقفاصين قسم الجمالية ، وبوابة بيت القاضي بجوار قسم الجمالية.

هذا عدا ما هو موجود منها في سوق الفحامين ومصر القديمة على درب المؤدى إلى قاعة العرسان ، وعلى درب المؤدى إلى كنيسة أبى سرجة . وباب حارة سعد الدين بالقرب من مسجد أصلم السلحدار بدرب شغلان ، وباب حارة زعيتر بشارع بولاق الجديد ، وباب درب البارودية لصق قبة الغورى بالغورية . وكانت تلك البوابات تغلق في الليل ويعين لها الحراس ، فيظلون طول الليل في موضع المراقبة وهم مسلحون ، فيغلقونها عقب صلاة العشاء ، ولا يفتحونها لطارق مجهول أو قادم إلا إذا أسر إليه بكلمة السر المتفق عليها مع السكان في تلك الليلة . أو قدم له بطاقته الشخصية .

البطاقات الشخصية

في ٢٣ ربيع الأول من سنة ١٢٤٥ هـ - ١٨٢٩ م قرر مجلس المشورة بالقاهرة أن يكون بيد كل إنسان تذكرة مختومة بختم مصر يقدمها عند خروجه (١) من أبواب مصر أو دخوله فيها وعند انتقاله من بلد إلى أخرى .

ونصت المادة ١٩٤ ضمن البنود المنتخبة من (٢) الجمعية الحقانية في ٩ شعبان سنة ١٢٦٠ هـ - ١٨٤٤ م على « أن كل من يوفق تذكرة مرور بالزور ، أو يصنع حيلة في تذكرة مرور يكون أصلها صحيحاً ، أو يستعمل تزويرات مثل ذلك ، أو تذكرة مرور ذات حيلة فانه يجازى بارساله إلى اللومان بمدة من ستة أشهر إلى سنتين »

وكان يعهد إلى (البصاصين) رجال البوليس الملكي بمراقبة مداخل القاهرة والاطلاع على البطاقات ، حتى إذا تبين أن أحداً لا يحمل بطاقة عذر وأنذر ، فقد

(١) الوقائع المصرية الصادرة في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٥٤ هـ .

(٢) قانون منتخبات ص ١٠٣ .

ضُبط سالم أحد عربان العباددة داخلا من باب القرافة وهو بزى امرأة ، وبالتحقيق معه وسؤاله عن تذكرته اعتذر عن تركها ، وقال إنه لم يتزى بزى النساء ، بل كان يحمل قيص والدته على كتفه ، وبعد معاقبته أطلق سراحه (الوقائع المصرية عدد ١٩٣ - ٩ ربيع آخر سنة ١٢٤٦) .

والبطاقات الشخصية ليست وليدة القرن التاسع عشر . فقد كانت نواتها موجودة بمصر منذ القرن الرابع عشر الميلادى . فان ابن بطوطة حينما زار مصر وذهب إلى دمياط قال « إذا دخلها أحد لم يكن له سبيل إلى الخروج إلا بطابع الوالى . فمن كان من الناس معتبراً طبع له فى قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به ^(١) وهذا بلا شك (جواز مرور أو بطاقة شخصية) للوافدين على مصر من الأغراب . ثم حدثنا عن جوازات الدخول إلى مصر والخارجين منها حينما وصل إلى بلدة قطيا باعتبارها الحد الفاصل بين الشام ومصر وفيها الجمرك والدواوين فقال :

« ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا براءة من مصر ، ولا إلى مصر إلا براءة من الشام احتياطاً على أموال الناس وتوقياً من الجواسيس العراقيين ، وكان يعهد إلى العرب بحراسة الحدود عند هذه البلدة ، وطريقها فى ضمان العرب ، فاذا كان الليل مسحوا على الرمل فلا يبقى به أثر ، ثم يأتى الأمير صباحاً فينظر إلى الرمل ، فان وجد به أثراً طالب العرب باحضار مؤثره ^(٢) ، فيذهبون فى طلبه فلا يفهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء » .

وللصديق المحقق ميخائيل عواد بحث ممتع فى جوازات السفر حوى معلومات جديدة طريفة نشرت فى مجلة الكتاب ص ٤٠ - ٥٠ عدد مايو سنة ١٩٤٦ يرجع إليه من رغب التوسع فى هذا الموضوع . ويعتبر ما ذكرناه مكملًا لبحثه .

تقسيم القاهرة

مما سبق يتضح أن القاهرة قسمت إلى مناطق سكنية ، ومناطق صناعية . كما قسمت أيضاً إلى مناطق لهُو برىء ، وغير برىء ، ومتنزهات خلوية ، فمن مواطن

(١) رحلة ابن بطوطة تحفة النظر فى غرائب الأعصار وعجائب الأسفار ج ١ ص ١٦ .

(٢) رحلة بن بطوطة ج ١ ص ٣٠ .

اللهو غير البرى قنطرة الحاجب على الخليج المصرى حيث كانت مقر أهل الطرب والخلاعة . وكانت العامة نقول فى هزها :

سقى ، أين كنتى ، وأين رحى ، وأين جيتى ، قالت : من ربع الزيتى (١) .
هذا عدا المناطق المخصصة لعصير الخمر وبيعه وغالبها أماكن نزهة أو يسكنها غير المسلمين مثل حارة السودان ، وحارة الساشا ، وكوم دينار ، وبركة اليقطين ، وحارة عكا ، والجزيرة ، والمريس ، والباطلية ، وشبرا ، ومنية السيرج ، وحارة زويلة ، وحارة الروم الجوانية ، وسويقة صفية ، وقنطرة الفخر (٢) .

وكانت مواطن اللهو البرى فى رحبة باب اللوق ، وكانت تجمع رحاباً خمس وبها كان يجتمع فى القرن الخامس عشر الميلادى أرباب الملاعب المسلية كالمشعبدين ولاعبى خيال الظل والحواة والبهلوانية وغيرهم (٣) .

وكانوا فى القرن الرابع عشر يجتمعون فى منطقة أخرى متاخمة لها عند جامع الطباخ القريب من ميدان (عابدين) .

أما متنزهاتها فكثيرة على ضفاف النيل ، وعلى حافى الخليج ، وحول برك القبل والحيش والرطلى ، والأزبكية ، وشبرا وخارج الحسينية وجزيرة الروضة وغير هذا كثير .

وعلى الجزائر وضفاف البرك أقيمت السراقات والأخصاص فى فصل الصيف فى سنة ٧٤٧ هـ - ١٣٤٦ م ظهر فى النيل جزيرة حليلة فاتصلت بجزيرة الزمالك وأقبل سكان مصر على التصييف فيها فانشأوا بها عدة أخصاص (عشش) تفننوا فى تشييدها حتى بلغت نفقات الخصى نحو (٤) مائة وخمسين جنيهاً ما بين رخام ونقوش وحدائق حوله . وكانت الإقامة فى تلك الأخصاص وفى أخصاص جزيرة الطينة أمام أثر النبى بمصر القديمة يستغرق ستة شهور .

وبذلك انتفع سكان مصر والقاهرة بجزائر النيل ابتداء من بولاق وجزيرة

(١) المقرئى (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) حلية الكيت ص ٤٠ .

(٣) المقرئى (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ٥١ .

(٤) المقرئى (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ١٨٦ .

الروضة وما يتصل بها من جزائر إلى مصر القديمة وهي مساحة تزيد عن مساحة رأس البر .

وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وفي القرون الثلاثة التالية له ، كانت منطقة الأزبكية حول بركتها من أجمل متنزهات مصر . حيث عني بها الأمير أربك من ططخ كبير أمراء السلطان قايتباي ، فأزال كيماها ، وأعاد حفر البركة ، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصري ، ثم أنشأ متاخماً لجمالها ، كما أنشأ قصرأ له فعرفت بالأزبكية نسبة إليه .

وما أن تم عمرانها حتى أنشأ بها مسجداً كبيراً ألحق به مكتبة نفيسة ، وأنشأ حوله حماماً ووكالة وقياسر للتجارة ، وقد رقع الفراغ من تلك المنشآت حوالي سنة ١٤٧٧ م . وكان من جرأء حفر البركة وعمل رصيف حولها أن رغب سرة مصر في سكنى الأزبكية ، فشادوا القصور وغرسوا الحدائق حتى صارت مدينة عامرة تبارى الشعراء والأدباء في وصف جمالها .

ومن طريف ما وقفت عليه في مدحها مقامة الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر القادري التي سماها «عرف الروضة الذكية في وصف محاسن الأزبكية»^(١) اقتطف منها تلك الفقرات .

فهى أحسن ما عمر في عصرنا . وبها البركة التي ليس في القاهرة أعظم منها ، ومن أيامها المعدودة ذلك اليوم الذي تنساب فيه إلى البركة مياه النيل ، حيث تضاء البركة والدور حولها ، وتدخل إليها المراكب مزدانة وتقام حولها حفلات الطرب .

أما في زمن الربيع فإن هذه البركة تزرع كلها قرطاً ، وتضرب الخيام حولها وتتحول إلى ربيع في وسط المدينة يتمتع بها خلق كثير .

« ويعجبني وصفه للمباني بقدر ما يسمح له خياله فيصف المسجد بأن^(٢) أعمدته كشموع كبيرة ناصعة البياض ، ورخامه المديج قد استعار من البستان خضرة رياضه ، ومن الليل والنهار لون سواده وبياضه ، وكأن شرفاته المرتفعات ،

(١) نزهة الأمل لابن أبياس ص ٢٤٦ خط .

(٢) هذا المسجد كان في ميدان العتبة الخضراء حيث مدخل شارع الأزهر وقد هدم سنة ١٢٨٦ هـ

١٨٦٩ م وأتم بتصويره تجران باشا .

حسان نساء في أزهرن متربعات ، وكأنه في الليل والبدر غير محتجب ، سراق
من الفضة قد ضرب » .

ثم أخذ في وصف منشآت الأمير أزبك حول البركة بأسلوب بليغ تحايل فيه
ببلاغته على وصف تفاصيل العمارة الإسلامية أبلغ وصف .

فن وصفه لقاعات القصر ورخامها : « وافتخرت على البقاع بقاعاتها
التي هي كيجنات تجرى من تحتها الأنهار ، تطرد بها آناء الليل وأطراف النهار ،
من كل شاذروان تقرر به العينان ، إذا انكسر ماؤه وانسكب ، تسلسل كالفضة
على أرض من ذهب ، وقام بعد أن تكسر يجري في أخدود ، يسر الوارد
عند الورود ، ينتهي من تلك الأخاديد إلى فساقى ، تسع لسقيها عند الورود
ألف ساقى .

وتلك القاعات بها رخام ملون ، كأنه من بديع الزهر قد تكون ؛ فكأن
بستانها أهدى لرخامها من رياضه حللا ؛ محكمة النسيج لا ترى خللا خللا .

وكل مبين يفضح الشمس والأقار بقمرياته ، ويدهش العيون إذا نظرت
إليه بحسن دهاناته ، إذا قابلت قمرياته الشمس إذا بزغت والقمر إذا طلع ،
يظنان أن قوس السحاب وقع عليها حبه إياها وقطع يقابلها الدهانات البعلبية ،
التي تدهش العيون برؤيتها السنية ؛ وشئ كالنقش الأخضر على ترائب الأتراب

(١) نزهة الأعم لابن أبياس ص ٢٥٥ (خط) .

(٢) الشاذروان هنا يفيد أنه السلسيل الذى تنساب عليه المياه متعرجة على نقوشه الموجية
وعادة يكون في صدر السيل أو الفسقية تنساب عليه المياه إلى الخوض أو في صدر الأيوان تنساب
عليه المياه إلى الفساقى ، وكذلك في قاعات القصور تنساب عليه المياه من أفواه الطيور فتسير في
قنوات حفرت عليها أنواع الأسماك حتى تصل إلى الفسقية أو البركة .
ولعلماء اللغة تفسيرات أخرى تباين هذا .

وهذا الأديب في وصفه البليغ أعطى للأثاريين مصطلحات معاصرة دقيقة فيصف شرفات
المسجد بحسان النساء في أزهرن متربعات ، وفسر الشاذروان بأنه السلسيل ، ووصف الرخام
الدقيق بأشكاله وألوانه ووصف القمريات (الشبابيك المستديرة ذات الزجاج الملون) أبدع وصف
كما وصف جامات الحمام .

ولا شك في أن هذه المقامة وصفت التفاصيل المعمارية أجمل وصف . وما أحوجنا إلى
الكثير من وصف تلك التفاصيل .

الحسان ، وجسم جمال النقش يكاد أن يتحرك بروح حسنه وعروقه اللاعبة
وتظن رخامها الملون في حسنه من زهر الرياض ، وأسوده في أبيضه كس
العيون منها في البياض .

ثم وصف الحمامات بقوله : يالها من حمامات يستوقف النواظر حسن ربح
الوسيم ، ويستوقف الأسباع صوت مائها الرخيم ، وتحير في حسن بهجتها النظ
إذا أشرفت أقمار جاماتها بالنهار .

ثم وصف البركة بقوله « انها بركة محفوفة بالمفترجات والمناظر ، ترتاح لآله
النفوس وتقر بها النواظر ، فهي بركة أنيقة المنظر ، صافية المخبر ، أرذ
كالعنبر وعرفها كالمسك الأذفر .

ثم تدرج إلى وصف الحدائق حولها ، وما يقام بها من حفلات بوصف
لايدع مجالاً للشك في استعمال الألعاب النارية في هذا الوقت ، فيقول :

كانى أراها حين سعى الناس إليها من كل مكان في ليلة أحرقت مرده الهموم
بشهب من نيران النفط كالنجوم الرجوم ، فيينا الناس في لحو وفرح ، وبس
من الأنس ومرح إذ أطلع فلك سماء الماء فلكاً تحمل أشجاراً من نار ، يقذف
النفط منها أنواعاً من الأزهار ، من مفضض ومذهب ومدبج من ألوان اللهب
وأسمهم تنسب مع إصابتها إلى الخطأ ، وضوء شمس يكشف عن وجه الظلا
الغطا في ليلة ينجاب عن وجهها الظلام ، وشاهد الناس فيها العجب ، لما اصطط
الماء مع اللهب ، وطار على وجه الماء فراس من ذهب ، ودارت بأكف اللاعبي
دوايب من نار ، من غير رياش تدور على قلب ولا زنار ؛ فيالها من ناد
أثلجت الخواطر ، وأقرت برؤيتها من الحاضرين كل ناظر .

ولاشك في أن هذا وصفاً صادقاً للألعاب النارية التي عرفتها مصر منذ
أربعة قرون ونصف .

ثم استطرد في وصف البركة فقال : « فيالها من بركة ماؤها بتجعيد الرياح
كالبرد يجلو عن القلوب الصدا ، افتخرت سماء مائها ، بكواكب أسماكها ،
وإن افتخرت بشموسها وبدورها ، افتخرت بشموس حسانها وبدورها ،
فهى في زمن النيل بمنظرها كالسماء ذات البروج ، وفي زمن الخريف ذات

شطوط ومروج ؛ فاذا نضب عنها الماء خرج من سجن طينها من زغب الحب
ما كان من المحابيس ، وبرزت في حلل من زهر الربيع كأذناب الطواويس ؛
يا لها من بركة إذا رآها الناظر أعلن بالتهليل والتكبير ، ودعا بطول البقاء
لمنشئها الأمير الكبير .

ونختم هذا الوصف بما كانت عليه حوانيت التجارة حولها من رواج يشبه
رواجها الحالي .

ظلت بركة الأذربكية عامرة بالدور والقصور حولها يسكنها أعيان مصر
وسراتها . وألحقوا بدورهم الحدائق وأباحوها للشعب ينعم بالتنزه فيها . فكانت
فرجة لسكان القاهرة يهرعون إليها في الصيف والربيع ينعمون بالتنزه حول
مياها والتمتع بمباهجها . وعند جفافها ينعمون بنخضرتها وزهورها وتقام حولها
أهم الحفلات .

وحيثما زار مصر الرحالة عبد الغنى النابلسي سنة ١٦٩٣ م نزل في دار (١)
أسرة البكري المطلة على البركة وكانت وقتئذ مزروعة فتنافش في مساحتها
وهل هي أعرض من مرجة دمشق أم المرجة أعرض منها ؟ مما دعاها إلى قياسها
بالذراع الذي حدده بثلاثة أشبار . فكانت مساحتها ١٠٥٠ ذراعاً طولاً في
٤٤٢ ذراعاً عرضاً .

وفي سنة ١٧٧٦ م وقع حريق كبير في أحد (٢) الأحياء حول البركة كان
سبباً في تلف كثير من الدور الكبيرة ، غير أن ولاية الأمور وقتئذ حتموا سرعة
تعميرها بدرجة أنهم ألزموا غير القادرين على التعمير ببيع ما يملكون لمن
يستطيع التعمير . وهكذا تم تعميرها في أقرب وقت . فلم يحل ميعاد الفيضان
الثاني حتى كانت الأذربكية أبهج وأحسن مما كانت عليه ، وهكذا نرى التاريخ
يعيد نفسه .

وعند احتلال الفرنسيين لمصر اغتصبوا كثيراً من قصورها وأقاموا فيها
وأنشأوا في سنة ١٨٠٠ (٣) مسرحاً كوميدياً كما أقاموا مطاعم وملاهي خاصة
بهم حولها .

(١) الحقيقة والمجاز رحلة النابلسي ص ٢٣٢ خط .

(٢) عجائب الآثار ج ٢ ص ٢ — ٣ .

(٣) عجائب الآثار للجبرتي ج ٣ ص ١٤٢ .

وكان يشرف على البركة حى الأقباط المعروف الآن بحارة النصارى . وكانت دوره كبقية دور القاهرة حافلة بالمشربيات والشبابيك الخراط . وهو الطراز السائد لأحياء القاهرة .

ومن الدور التى كانت تشرف على البركة وأبيحت حدائقها للجمهور . دار السيد ابراهيم بن السيد سعودى . وكانت من الدور الكبيرة التى عني بتشييدها وصرف عليها مبالغ كبيرة . أباح حدائقها المتاحة لبركة الأزبكية لعامة (١) الناس يتنزهون فيها .

وهذه الدار هى التى آلت إلى الأمير محمد بك الألى سنة ١٧٩٦ م فهدمها وتغالى فى بنائها . ولم يسكن بها سوى أياماً حتى وقع الاعتداء الفرنسى الممقوت فاغتصبها الفرنسيون وأقام بها سارى عسكر بونابرت ثم الجنرال كليبر . وبها قتل .

ومن تلك الدور دار الشرايبي ، وكانت على الحافة الشرقية للبركة . وهى إحدى دور المجد ، ألحقت بها مكتبة قيمة حفلت بكتب العلم فى مختلف الفنون . عرضت للجمهور على الطريقة الحديثة . فيدخل الطالب فيختار ما يحلو له ليطالعه فى المكتبة أو يستعيره خارجها (٢) .

وقد تنقلت ملكية هذه الدار حتى آلت إلى الأمير رضوان كتحدا الخلقى فأدخل عليها تعديلات ، ووسع حدائقها وأباحها (٣) للنزهة وخاصة أيام فيضان النيل . ثم آلت إلى طاهر باشا ناظر الجمارك ثم عباس باشا الأول فهدمها وأعاد بناءها . ومنذ ذلك الوقت أطلق على تلك المنطقة اسم العتبة الخضراء بدلا من (٤) العتبة الزرقاء . ومحلها الآن الحديقة وسط ميدان العتبة الخضراء .

وكانت مدرسة الألسن على البركة ، ثم حولت إلى فندق للإنجليز عرف فيما بعد بفندق شبرد .

وفى منتصف القرن التاسع عشر ردم أكبر قسم من البركة فأزيلت الكيمان التى كانت مجاورة لها وأقيمت المتنزهات وشيدت المنتديات .

(١) عجائب الآثار للجبرقى ج ٣ ص ٢٤٣ .

(٢) عجائب الآثار للجبرقى ج ١ ص ٢٠٤ .

(٣) عجائب الآثار للجبرقى ج ١ ص ١٩٢ .

(٤) عبر البشر فى القرن الثالث عشر ص ٤٨ خط .

وفي سنة ١٨٦٤ م ردم البركة وضمت إلى الحديقة التي أعيد تنظيمها . وأقيمت بها البرك والأكشاك والجبلابة ووضعت بها (١) الطيور المغردة ، وأضيئت بغاز الاستصباح ، وشقت بها الشوارع حسب تخطيطها الحالي . وأنشئ بجوارها ثاني مسرح كوميدى . ثم أنشئت دار الأوبرا سنة ١٨٦٩ م . وفي سنة ١٨٩٩ م تم إنشاء فندق الكونتنتال واحتفل بافتتاحه .

وفي ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٤ شقها شارع ٢٦ يوليه ذلك الشارع العظيم مضرب الأمثال في سرعة التنفيذ ، وفتحت أبوابها للشعب ينعم بها ففرجت كرب الفقراء المحيطين بها وتنفسوا هواء نقيا استخلص الحمد والدعاء الخالص بدوام التوفيق للقائمين بهذا العمل الجليل .

وكذلك أباح الكثير من أغنياء مصر حداثق دورهم لجيرانهم ينعمون بالتنزه فيها . وكانت حداثق الدور الكبيرة وسط أحياء القاهرة بمثابة حداثق عامة تنفس بسعتها عن سكان الحى .

ومن أباح حديقة قصره وعلى نطاق واسع الأمير قاسم بك أبو سيف المتوفى سنة ١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م . فقد كان قصره يشغل مساحة كبيرة من أراضي البركة الناصرية ، يحيط به حديقة كبيرة تشققها قنوات الماء التى تصل إلى البركة أيام فيضان النيل ، وأحكم جريان الماء فى قنوات مرتفعة ، وغرس فيها الزهور والفواكه والنخيل والأشجار (٢) .

ونسق بها جلسات مفروشة لخاصته ظللها بالزهور ، وأباح للناس الدخول إليها ، والتنزه فى رياضها ووضع لافتة على أحد الأشجار بمدخلها كتب عليها : (حديقة الصفصاف والآس ، لمن يريد الحظ والائتناس) .

من عبير الوهاب

كبير مفتشى الآثار الإسلامية

(١) المحاسن البهية فى حديقة الأزبكية ص ٥ - ٧ .

(٢) عجائب الآثار للجبرق ج ٣ ص ٢١٩ .

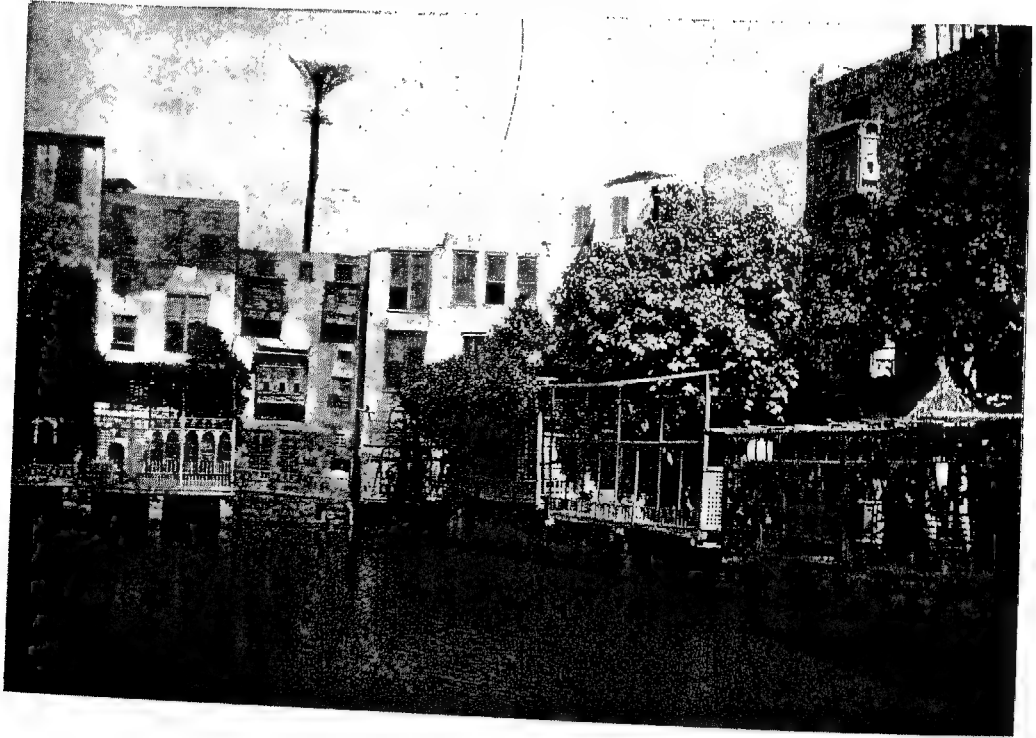


منظر الجزيرة والأهرام من سفوف المسجد الذي تبنى المسلمون الله أن تكبروا بها القاهرة

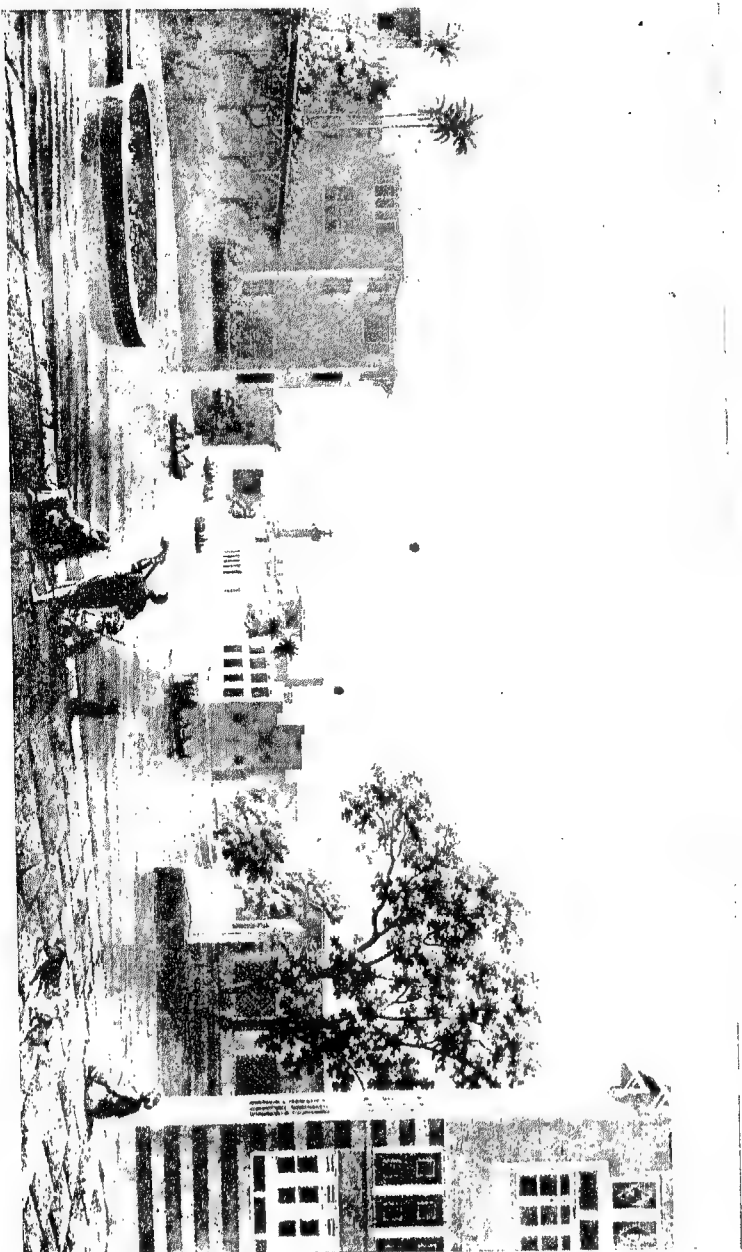


LA GRAN CITTA DEL CAIRO

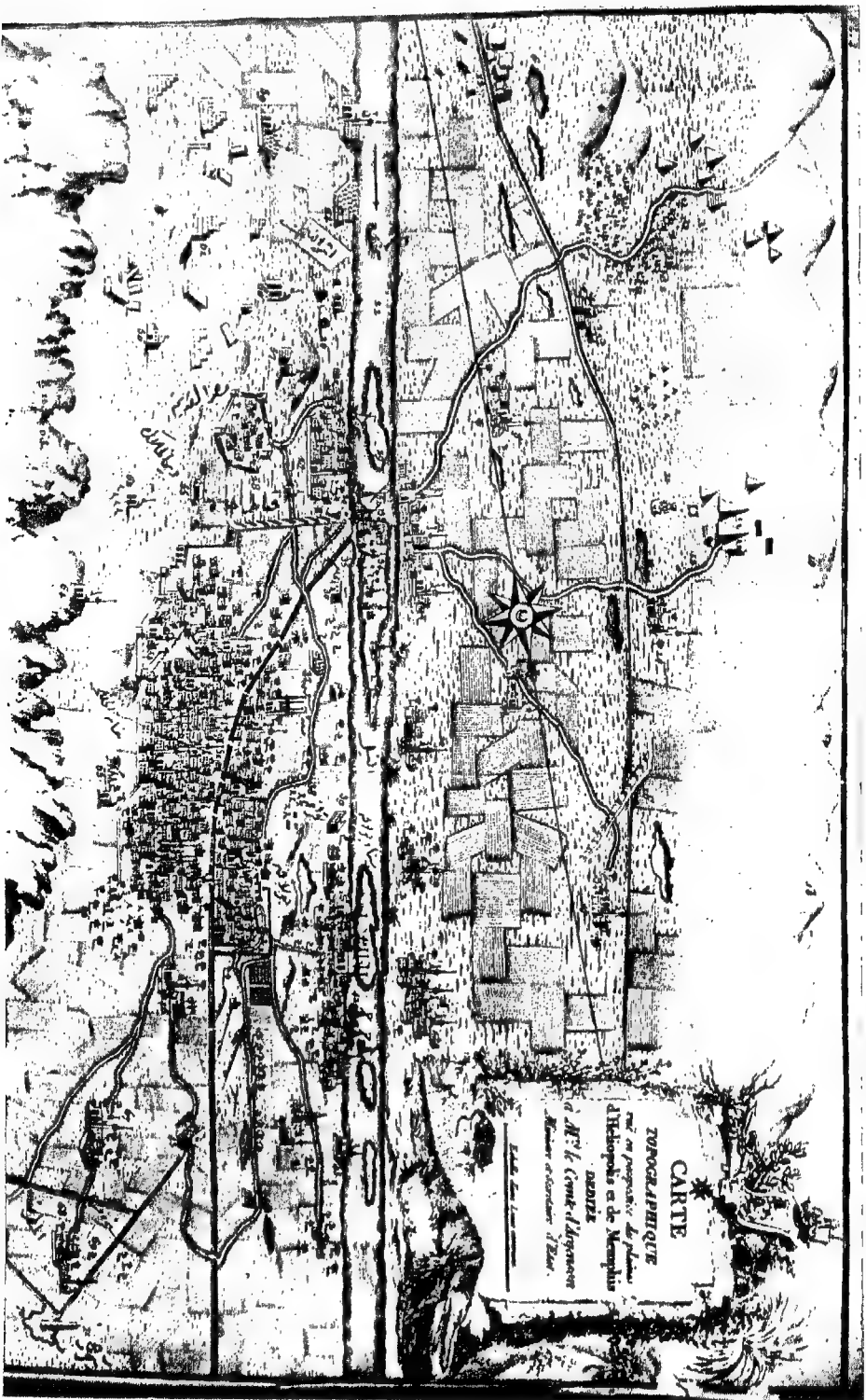
A detailed black and white woodcut-style illustration of the Great City of Cairo. The city is depicted as a dense, sprawling urban landscape with numerous buildings, streets, and a prominent river winding through it. The title 'LA GRAN CITTA DEL CAIRO' is printed vertically along the right edge of the image.[illegible]



الخليج المصرى قبل ردمه



بركة الفيل والدور حوتاً — القرن الثامن عشر

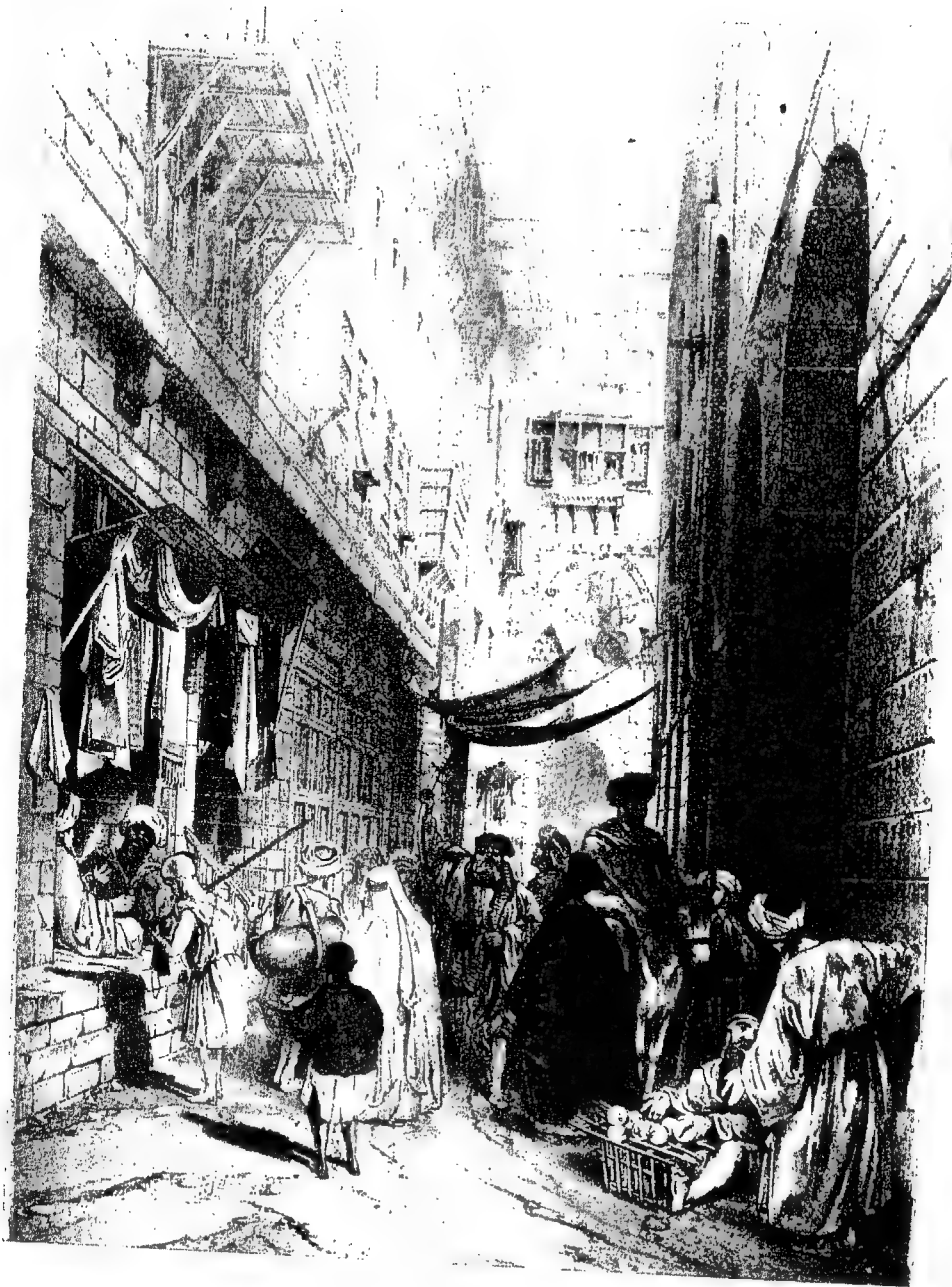


عن فرمون

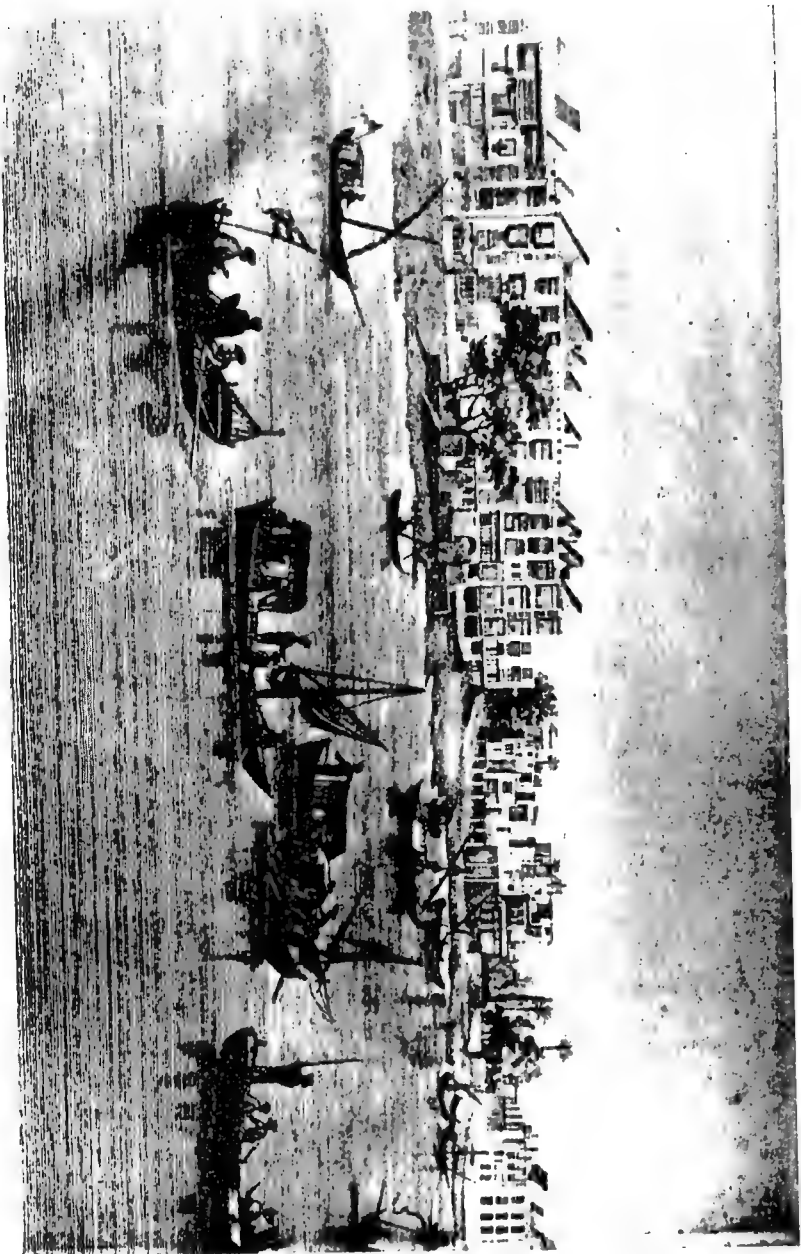
التاريخ سنة ١٧٥٠



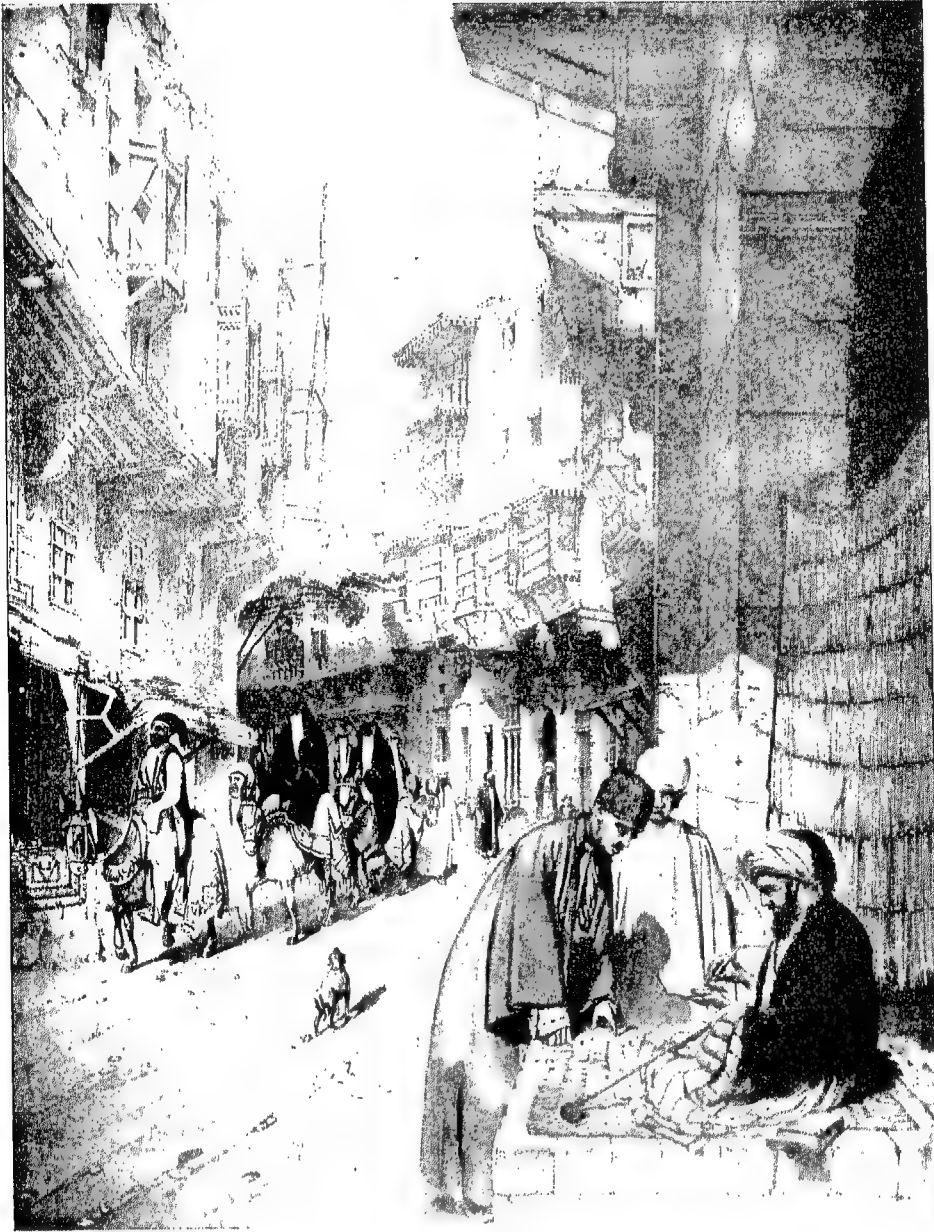
شارع الزيادة بجوار الجامع الطولوني (القاهرة في القرن الثامن عشر)



خان الخليلي في القرن الثامن عشر

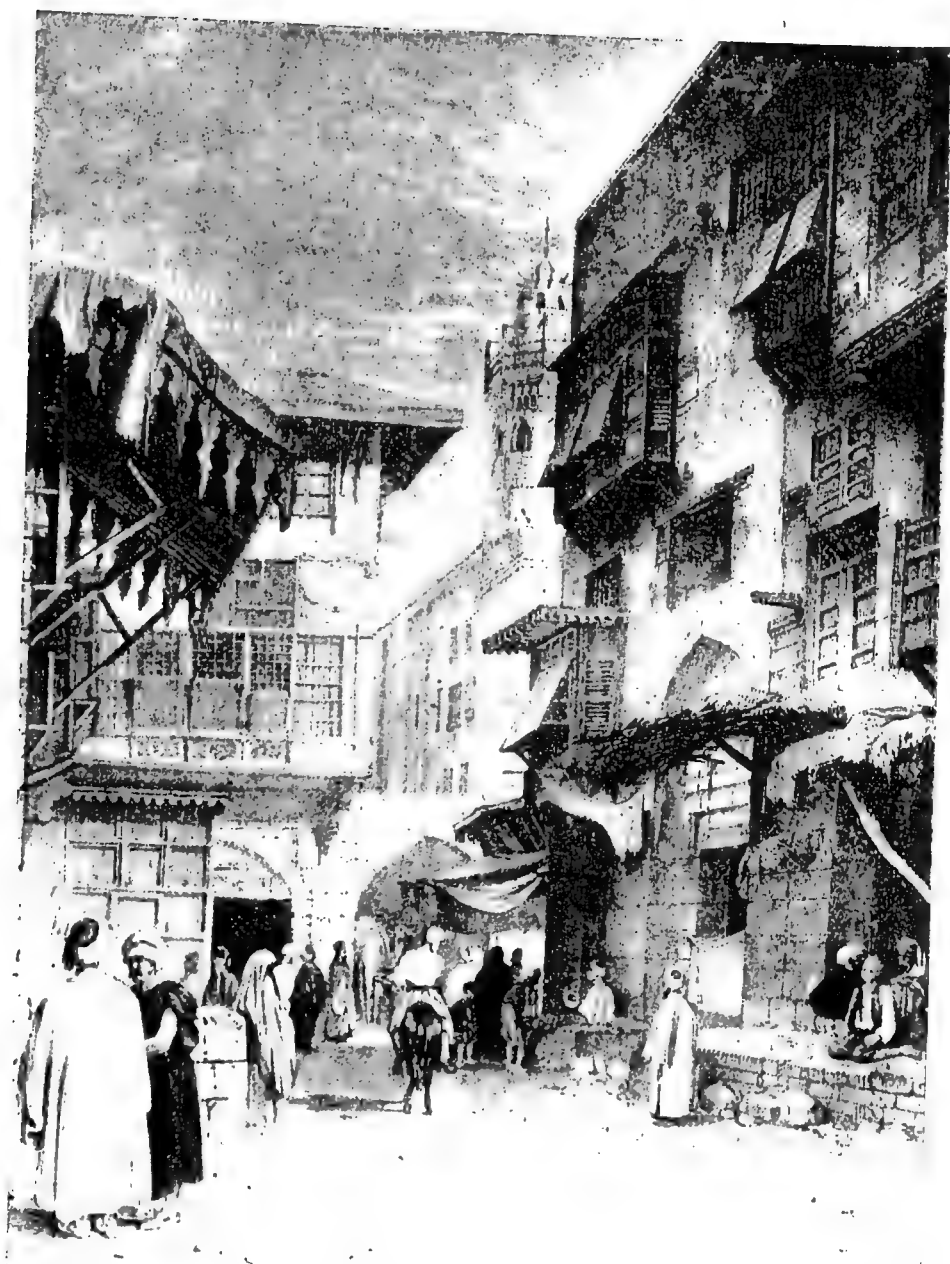


بركة الأمريكية في القرن التاسع عشر



(القرن التاسع عشر)

شارع باب الخلق



وكالة ذو الفقار وخط الجمالية — القرن التاسع عشر

میزان های مهر							
شا	ایام	درجه	مباح	ظهر	عصر	مغرب	عشا
۲۳	د	درجه	۴۱	۴۵	۴۳	۰۰	۰۰
۲۴	هـ	درجه	۴۱	۴۶	۳۴	۱۱	۰۰
۲۵	و	درجه	۴۲	۴۶	۴۶	۰۰	۰۰
۲۶	ز	درجه	۱۹	۴۷	۴۷	۲۷	۲۶
۲۷	ا	درجه	۲۳	۴۹	۴۱	۳۰	۲۹
۲۸	ب	درجه	۲۱	۴۷	۳۸	۴۵	۳۴



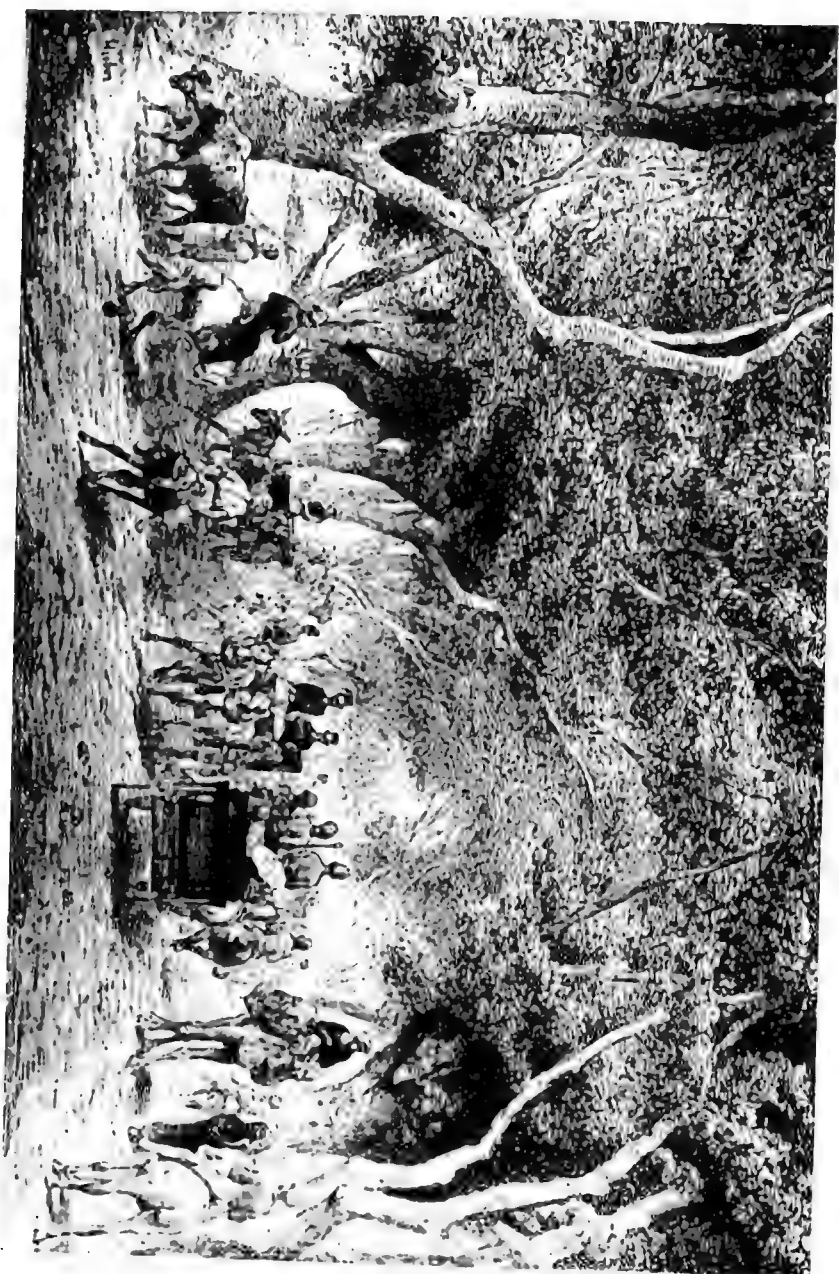
مهر

فی غایتی الصلوة سنة ۱۳۴۴ هـ

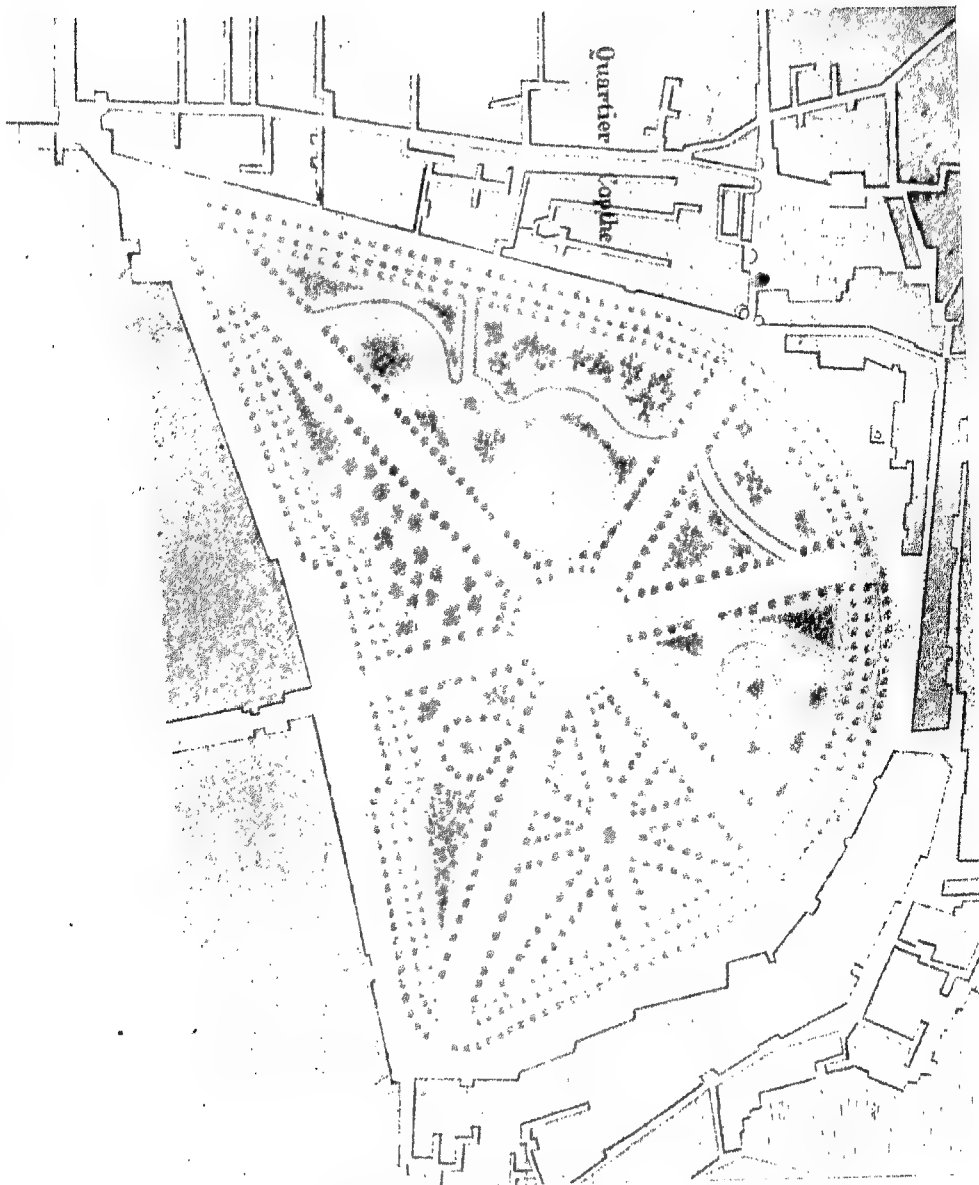
بلاق مصر

يوم الثلاثاء

النشرة الأخيرة الصادرة يوم الثلاثاء آخر ذي القعدة سنة ۱۳۴۴ هـ
سنة ۱۳۲۸ م

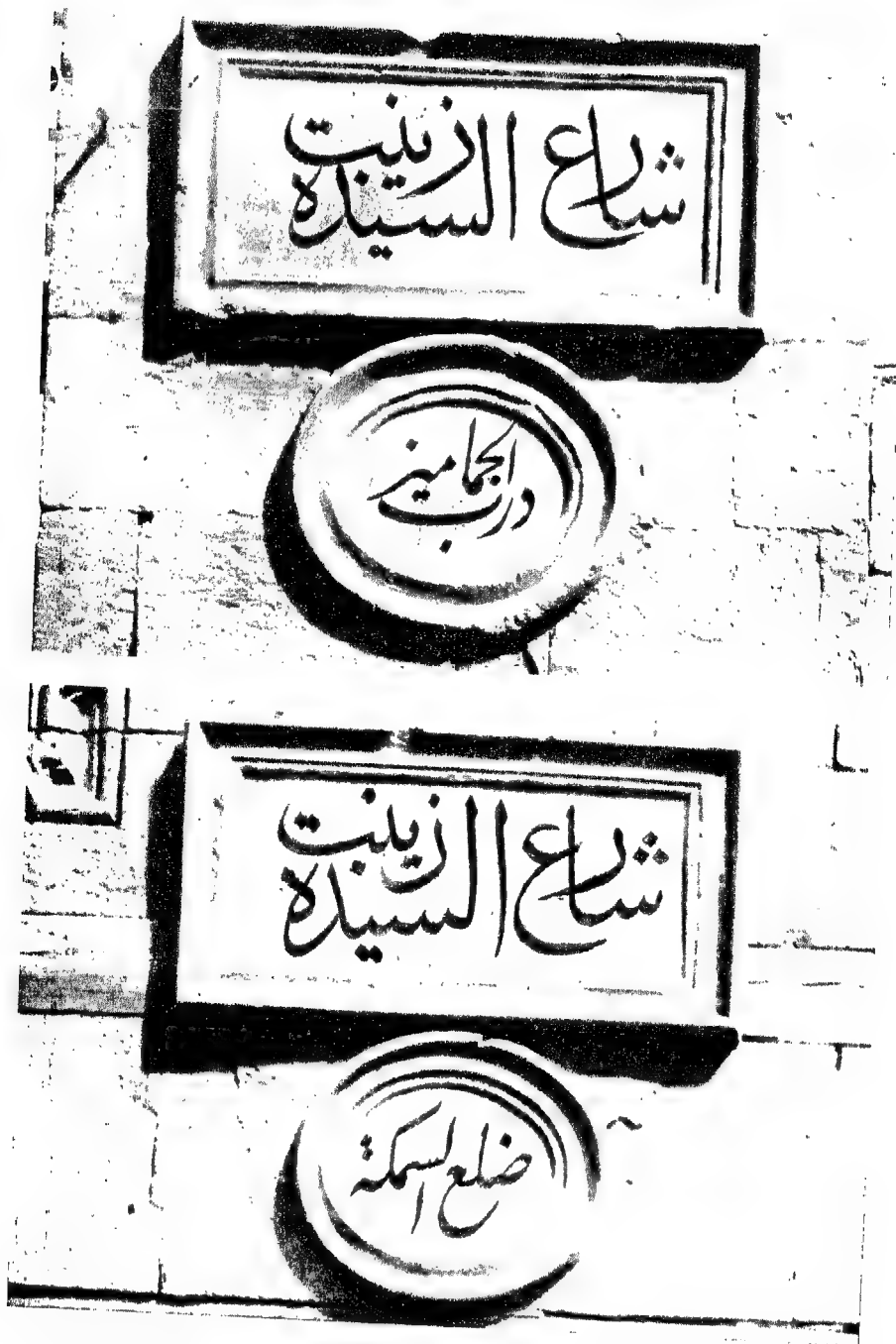


شارع شبرا في متحف القرن التاسع عشر



عن ایشان دی بقیون

حقیقة الاركانية ورد حورف - حورف سنة ۱۸۴۰

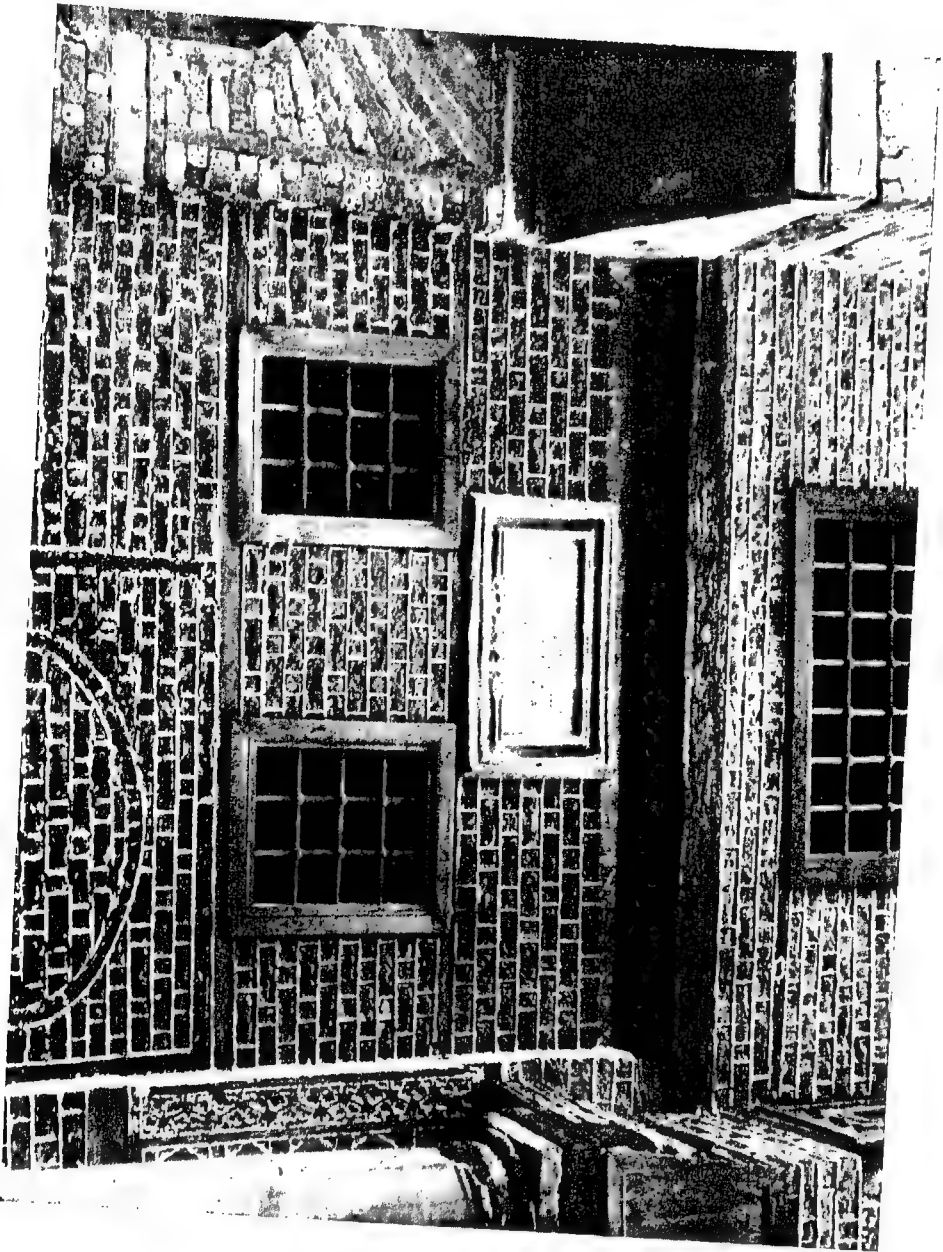


لافتات الشوارع الرئيسية والفرعية مازالت موجودة على مسجد قراقجة الحسني وعلى سبيل السلطان محمود

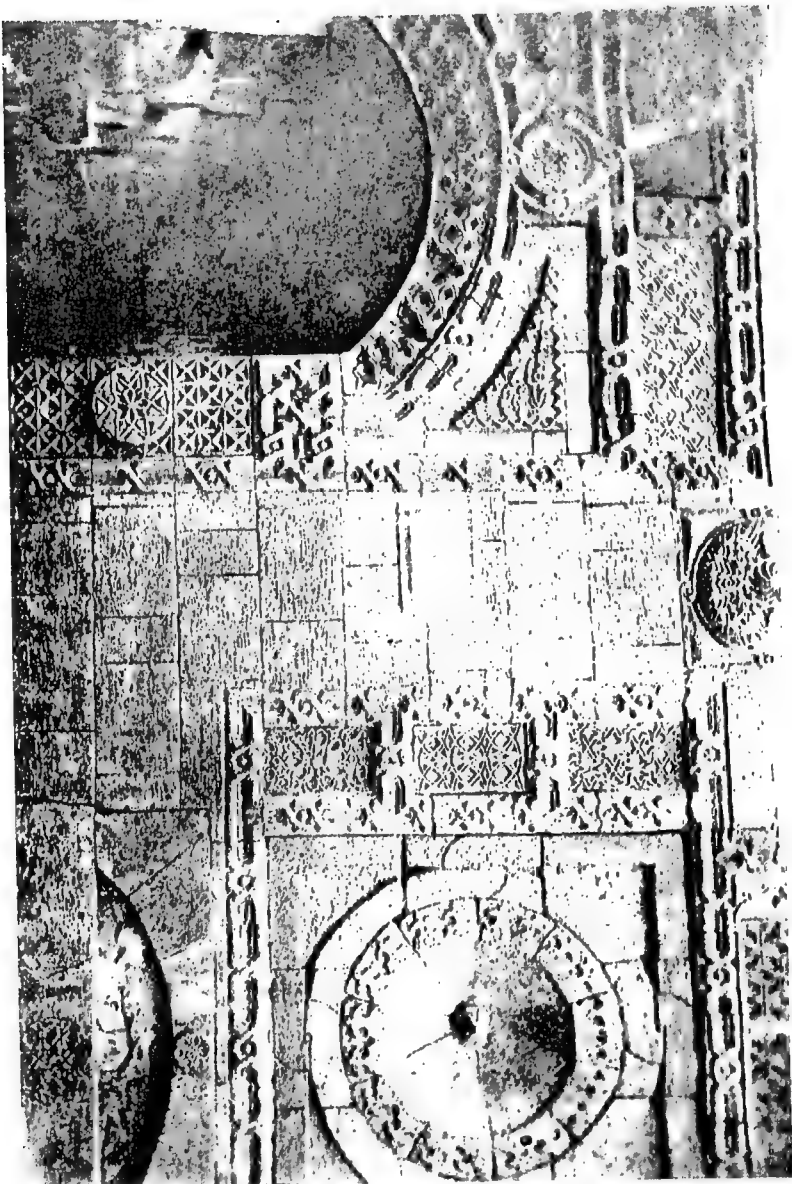


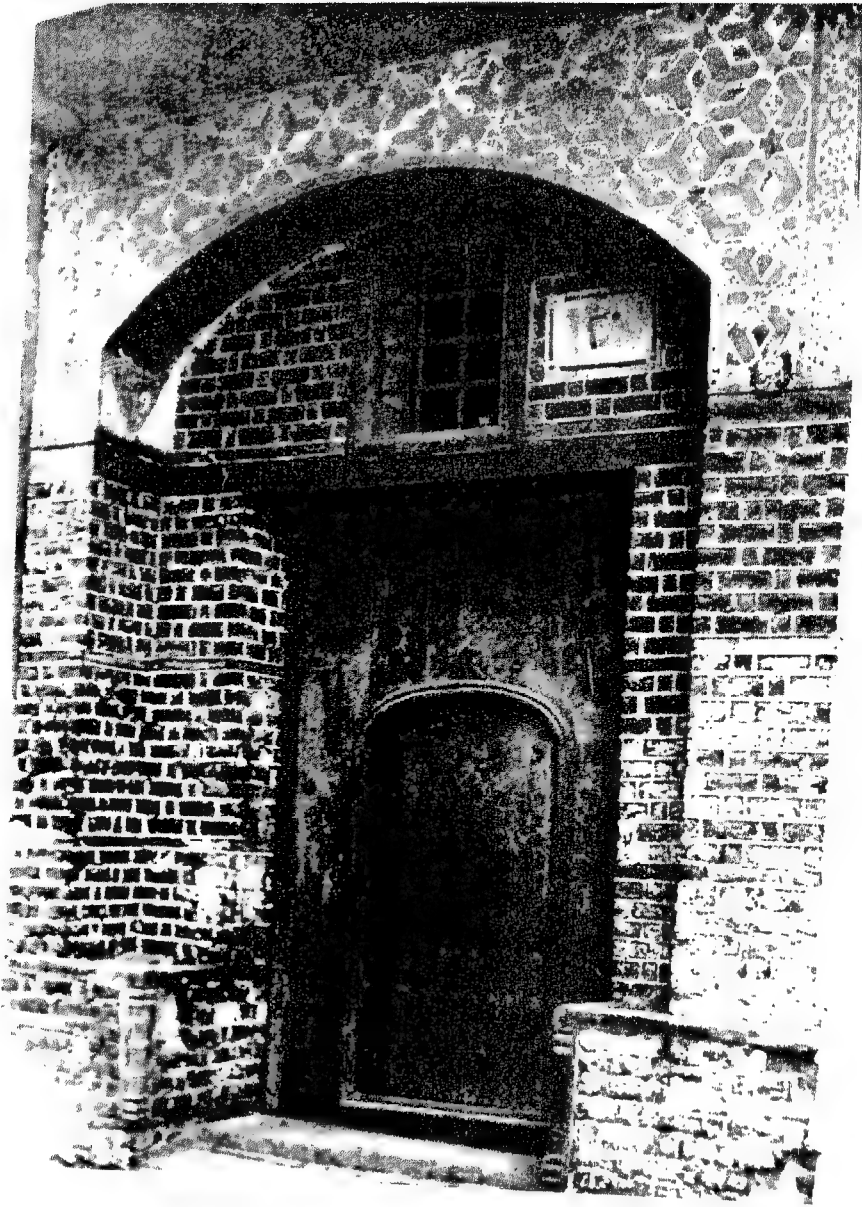
لافتات الحوارى . وهذه اللوحة مازالت موجودة على سبيل السلطان مصطفى بميدان السيدة زينب

لافتة حارة الملح يوسف زهير

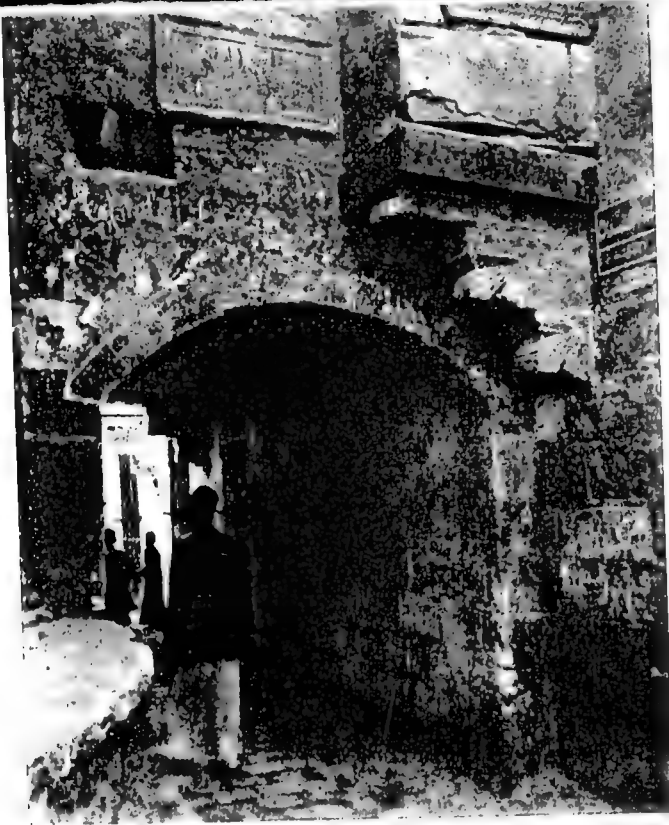


رقبة تقطيع المآذن بشوارع حيرو السيف بمصر القديمة

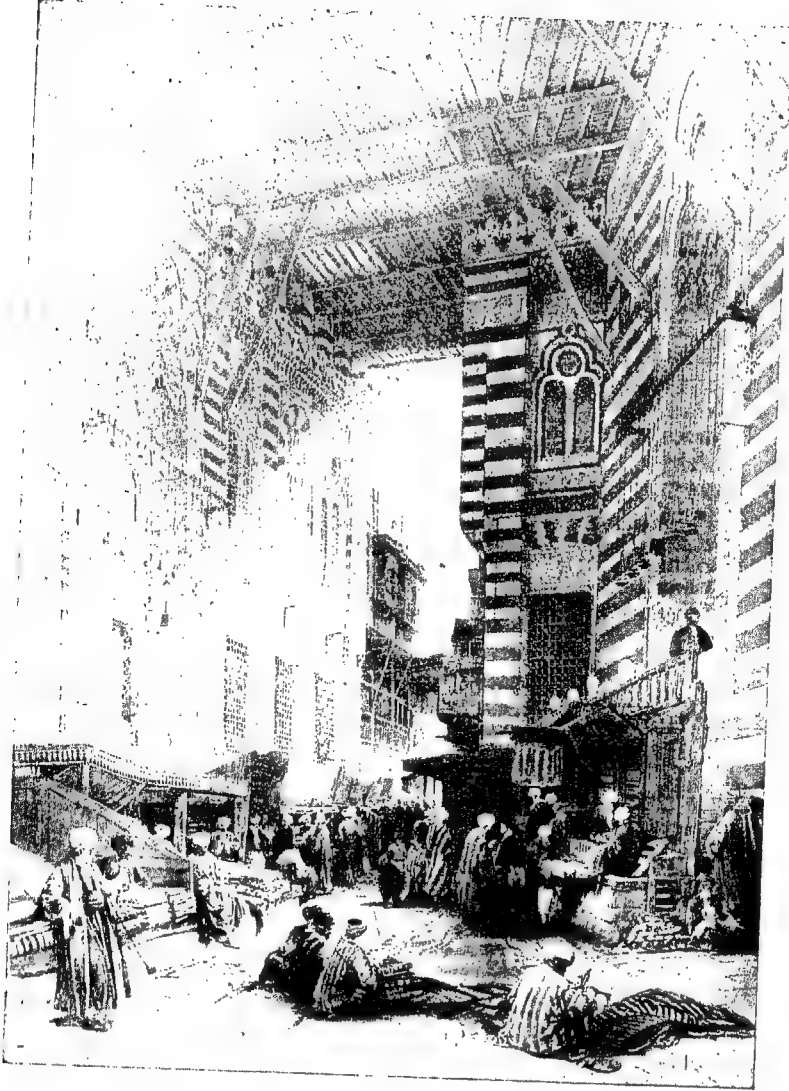




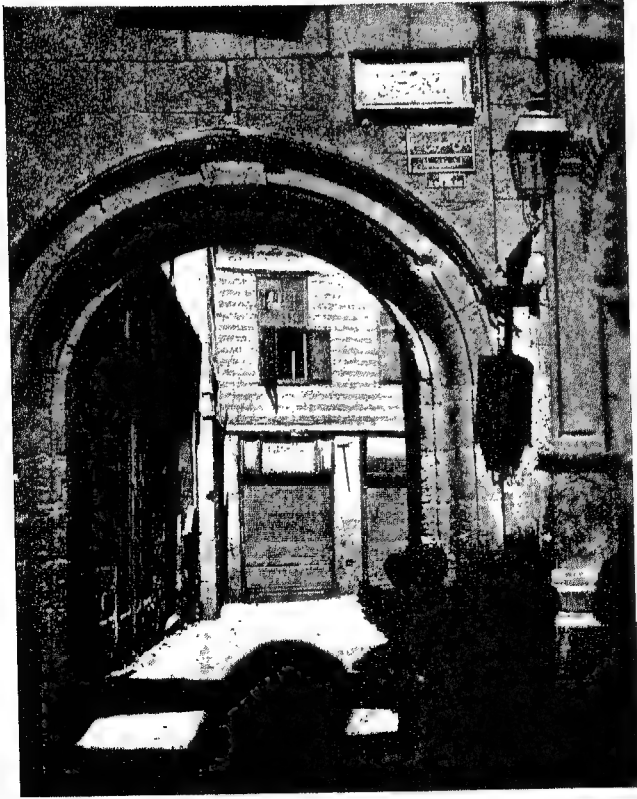
رقم تنظيم منزل المتاديل الاثرى رشيد



بوابة عطلة الحمام بالسكينة وعليها لافتة باسم العطلة



شارع الغورية والسقيفة أعلاه تجمع بين مسجد الغوري وقبته



بوابة حارة برجوان وعليها لافتة (سكة بيرجوان)

MINI-MILCA AT KAMPANIA
 دمشق - سورية
 دمشق - سورية

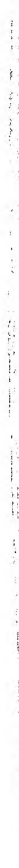
1

2

3

4

5



2.16

Bibliotheca Alexandrina



0275999